شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٧

العدد السادس: المجلد السابع والخمسون ربيع الأول ١٤٣٣هـ / فبراير ٢٠١٢م

- وما يوم الإسلام ببعيد !
- من الحجاب إلى الصلاة
- العدل في الإسلام
- كيفية التعامل مع العولمة
- المسجد في الإسلام
- تزكية النفس: منطلقاتها وأبعادها

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)

Fax : 0091-522-2741221,2741231, e-mail : thealbaas@nadwatululama.org

Mob: :0091-9415546882
Fax :91-522-2741221, 2741231

Monthly

R. N. I No. (U.P.ARA/2000/2341)
Regd. No. LW-NP/42009 To 2011

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 57, Issue: 05

Dec.2011 Jan.

إصدارات حديثة :

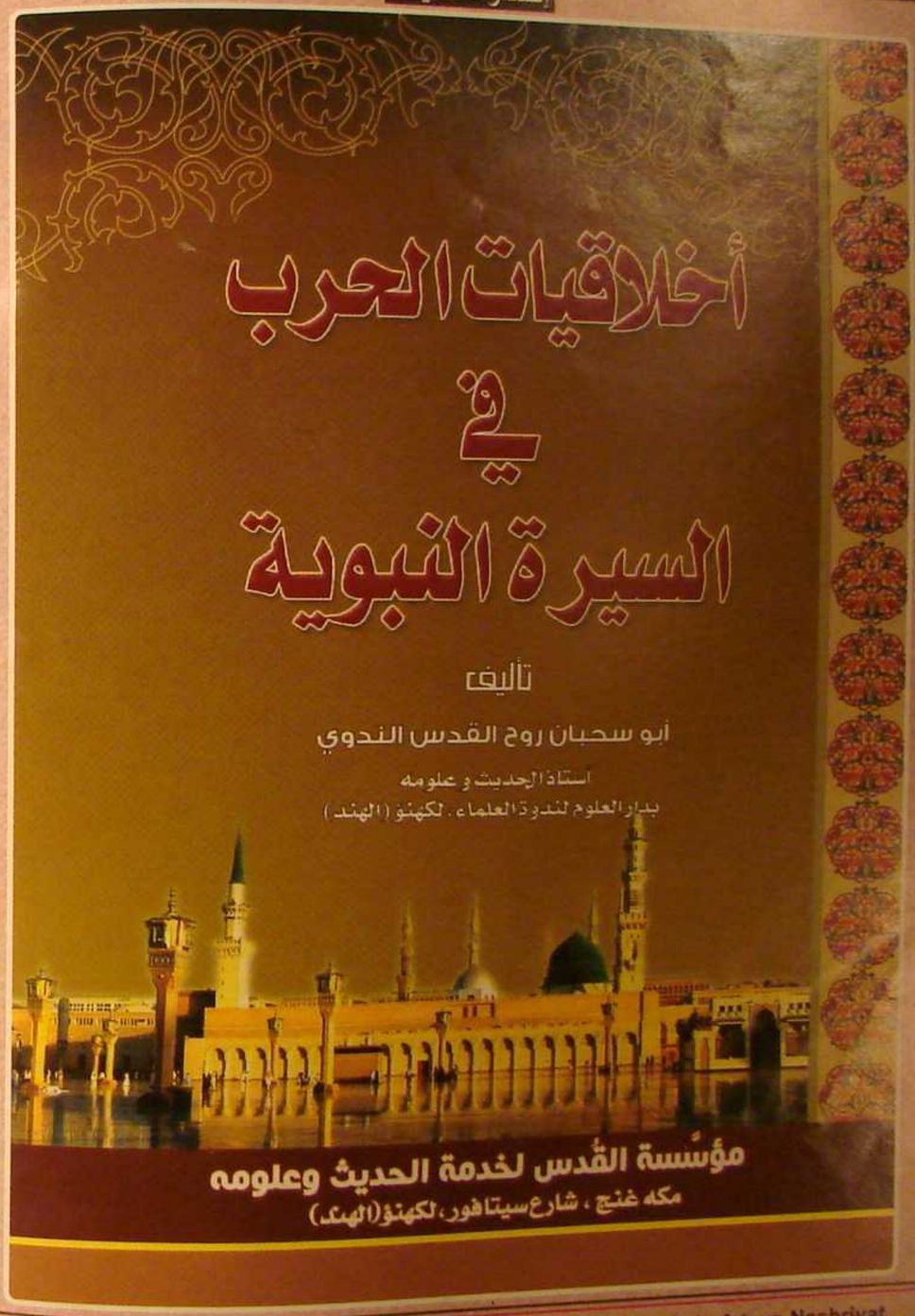

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027 Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.

Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

ربيع الأول ١٤٣٣هـ

Vol.57 Issue.06
February 2012

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أنشأها:
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المجلد ٥٧
المجلد السابع والخمسون

العدد السادس:

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(أبوالحسن علي الحسني الندوي رحمه الله)

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:
محمد فرمان الندوي
محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:
أختر سهيل

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي
وفي جميع دول العالم:
٥٠ دولاراً بالبريد الجوي
أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:
باسم "البعث الإسلامي"
A/C 10863759846
(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

الافتتاحية:		
وما يوم الإسلام ببعيد !	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الإسلامي:		
العدل في الإسلام	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	٨
المسجد في الإسلام	الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد	١٢
كيفية التعامل مع العولمة	الأستاذ محمد نعمة الله إدريس الندوي	١٨
الدعوة الإسلامية:		
تزكية النفس: منطلقاتها وأبعادها	الدكتور جمال الدين الفاروقي	٢٦
الجاهلية في ضوء القرآن والسنة النبوية	الأستاذ محمد مبين سليم الندوي	٣٠
فهم الصحابة المراد من كتاب الله	الأستاذ عبد الودود الندوي	٤٠
الفقه الإسلامي:		
نظام الميراث في القرآن	الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني	٤٤
دراسات أدبية ولغوية:		
رسالتان من أحمد شوقي وحافظ إبراهيم...	الدكتور عبد العزيز بن صالح العسكر	٥٣
الأدب العربي السعودي: مسيرته ومميزاته.	الأستاذ عرفات ظفر	٥٩
من أعلام التاريخ والأدب:		
الصحابي الجليل مازن بن غضوبة الطائي	الأستاذ زياد بن طالب المعولي	٦٤
المقداد بن الأسود: أول فرسان الإسلام	أ.د. محمد السيد علي بلاسي	٧١
العلماء الهنود وجهودهم في المعجمية العربية	الأستاذ قمر شعبان الندوي	٧٧
صور وأوضاع:		
من الحجاب إلى الصلاة	الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي	٨٧
من كنوز القرآن الكريم:		
مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي	محمد فرمان الندوي	٩٠
عالم جليل فقدناه:		
فضيلة الشيخ محمد باقر القاسمي: حياه حافلة..	محمد فرمان الندوي	٩٣
أخبار علمية وثقافية		
ندوة أدبية: حول شخصية العلامة عبد الماجد...	قلم التحرير	٩٥
حفلة توزيع الشهادات بجامعة فاطمة للبنات	" "	٩٥
ندوة دولية حول أنشطة علماء الدين	" "	٩٦
إصدارات حديثة:		
الإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى	" "	٩٧
إلى رحمة الله تعالى		
الشيخ مجيب الله القاسمي في ذمة الله تعالى	قلم التحرير	٩٩
والدة الأستاذ محمد قيصر حسين الندوي في ذمة الله تعالى	" "	٩٩
أم زوجة الأستاذ وصاف عالم الندوي في ذمة الله تعالى	" "	١٠٠
الأستاذ محمد كامل إلى رحمة الله تعالى	" "	١٠٠
رحيل فضيلة الشيخ القاضي محمد فاضل القاسمي	" "	١٠٠

الافتتاحية

وما يوم الإسلام ببعيد !

إذا تجاوز الظلم حده الأخير أثار ذلك غضبة في نفوس المظلومين، تؤدي إلى بادرة انتقام لا يكاد يقف في وجهها شيء يعوق صاحبها عن قرار انتقام وثأر، والغضبة العربية معروفة بشدتها إذا ثارت بعد صبر طويل ومحنة قاسية، وقد تجمعت في بعض أجزاء عالمنا العربي أسباب بعثت في نفوس أهله مقتاً وكراهية، للذين قادوا البلاد أسوأ قيادة، والذين لم يدعوا فرصة من فرص الاستغلال وخدمة المصالح الذاتية إلا وأسرّوها تنعما وترفا، بصرف النظر عما يعيشه الشعب من قهر، وهضم لشرعية الحقوق ومعاناة من المحن أنواعاً وألواناً.

فلما عيل صبر الناس في الوطن العربي الإسلامي، ولم يعد لهم طريق لإزاحة الظلم والظالمين ثارت غضبتهم ضد الوضع الممقوت، وقامت ثورات تعم جميع طبقات الرعايا، بدءاً من تونس ومصر العزيزة التي تعتبر زعيمة العالم العربي، والتي لها تاريخ مشرق، منذ أن دخلها سيدنا عمرو بن العاص، الذي فتحها باسم الإسلام، وانتصر فيها على الحضارة الفرعونية التي كانت موضع اعتزاز وفخر لدى أهلها قبل وصول جيش المسلمين إليها، وإن كان تاريخ هذه المنطقة لا يكتمل بدون ذكر للفراعنة وآثارهم إلى الآن، والذين برزوا على مسرح الحكم في هذا البلد التاريخي العظيم رجال من المسلمين (ولا أرى حاجة إلى سرد أسمائهم) ممن لم تمح عن ذاكرتهم حضارتها القديمة وآثارها، وفعاليات فرعون الظالمة البالغة إلى آخر المدى، بل وربما كانوا معجبين بتاريخها القديم، وأخيراً ظهر على المسرح السياسي لهذا البلد فخامة الرئيس السابق السيد حسني المبارك، الذي ورث سلفه القائمين بزمام السلطة في الفترات السابقة وبقي في السلطة إلى مدة طويلة، فقدت البلاد خلالها كثيراً من هيبتها وعظمتها التاريخية والعلمية والثقافية، وذاق فيها الشعب مرارات الظروف المضادة في مجال العدل والاقتصاد والسياسة والثقافة، كأنها كانت تتدرج إلى الزوال والذوبان، وظلت عناصر الثورة والكراهية تختمر في النفوس، وتتضافر بين جميع الطبقات، حتى انفجر بركان الثورة في مصر ضد السلطة الحاكمة في ٢٥/يناير عام ٢٠١١م، سبقتها ثورة تونس ضد رئيسها بن علي زين العابدين، الذي أحس بشدة الثورة وبظلام مستقبله، وفر هارباً والتجأ إلى مأمن خارج البلاد، حيث يذوق جزاءً قاسياً، لما قد قام به من استهانات وخطوات

جائرة ضد شعبه المخلص الهادىء، وقد أبانت النتائج الانتخابية التي جرت في تونس بالسبق الملموس الواضح لحزب النهضة الإسلامية، الذي سيوفق إلى بناء الوطن على أساس من المنهج الإسلامي، وسيلعب دوراً بمشيئة الله تعالى في جميع المجالات الفردية والجماعية. ويُرجى أن يبذل جهوداً لاستدراك ما فات البلاد من خير و رفاهية وحرية وأمن.

وسرت عدوى الثورة إلى عديد من الدول العربية، وقد شملت الجماهيرية الليبية واليمن والبحرين، ولعل نهاية المطاف كانت في سوريا، التي تعيش اليوم ثورة عارمة، تتطلق بشدة مع إدانة الجيش بالقمع الوحشي وتصفية أرواح المتظاهرين والمعذبين في السجون السورية، ولا يزال الوضع متفاقماً من انشقاق الجيش السوري عن الجيش الرسمي، ولعل هذا الانشقاق دفع الأسد إلى الأمر الحاسم بضرب المتظاهرين ضدهم، وقمع كل عائق يعوق عن استمرارية الحكم السوري.

نظراً إلى وضع القمع والتصفية واستشراء عدد القتلى والشهداء قررت جامعة الدول العربية وضع الحصار على سوريا، ولعل هذا القرار يهيب بالأسد ويضطره إلى الاستسلام أو اللجوء إلى بلد، يصون فيه نفسه، ويملك زمام الحكم الشعب السوري، وينقذ البلاد من الحكم العشوائي، ويمهّد الطريق نحو العدالة الاجتماعية والبناء من جديد، في ظل شريعة الإسلام.

أما اليمن فقد كان قد استتب فيها الوضع إلى حد ما، بعد قرار المغادرة لعبد الله صالح لاستكمال علاجه إلى الخارج والتخلي عن السلطة، ولكنه مع ذلك لم يوفق إلى إيفاء وعده، ومازال ملتصقاً بالمنصب الرئاسي، وهو يخشى حدوث مزيد من الانشقاقات في صفوف قواته وانضمامها إلى قوات الموقف في حال تفجر الموقف على نطاق واسع، وهو لايزال يراوغ الشعب اليمني، بمواقف متغيرة متجددة، ولعل الله تعالى يحدث بعد ذلك أمراً.

ولما أصدر مجلس الأمن الدولي قراره بشأن توقيع "المبادرة الخليجية" حول إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي من انتقال السلطة إلى الشعب اليمني بدون أي تأخير بموجب قرار مجلس الأمن (رقم: ٢٠١٤) يوم٢١/من شهر أكتوبر للعام الجاري تزايد عنفه على المتظاهرين، واشتدت الحملات المضادة باستخدام القوة وتوسعة مساحة القتل والدمار ضد الشعب اليمني، جاء فيما كتبه عادل أمين من صنعاء في مجلة "المجتمع" الكويتية:

«لقد حرك صالح آلة الدمار بطريقة جنونية انتقامية، وكان يمارس هوايته في القتل العشوائي ضد شعبه دون أدنى وازع من خلق أو ضمير، وهذا ليس بمستغرب على رجل شن ست حروب متوالية في «صعدة»... في غضون ستة أعوام فقط (٢٠٠٤ـ٢٠٠٩م) دون أن يعرف أحد، لماذا كانت تشتعل الحرب؟ ولماذا تنطفيء ؟!

وأمر صالح ابنه أحمد قائد قوات الحرس الجمهوري بتدمير حي الحصبة عن آخرها، ودون مراعاة للمدنيين: (دمروا كل من يقف أمامكم، بدون فرق بين موقع ومنزل ورجل وامرأة وطفل وشيبة، وأفطروا على دمائهم وجثثهم، وخلوا مجلس الأمن والخليجيين والأمريكيين والأوربيين ينفعونهم».

يبدو أن صالح لن يرضى بالتخلي عن السلطة، وقد يكون مصيره مثل "القذافي" في ليبيا، ذلك أن الأنباء العليمة قد أفادت بأن الجيش اليمني الموالي لصالح بدأت تقذف القنابل على المعارضين في مدينة تعز، ذهب ضحيتها عدد كبير من المدنيين والثائرين، ولذلك لا يمكن التنبؤ من الآن عن المستقبل.

وهذا معمر «القذافي» طاغية ليبيا وفرعونه لم يلن موقفه رغم حصاره وإجباره على التخلي عن السلطة، ولكنه لم يرض، وكان الأجل يرقص أمامه، ولكنه كان عنيداً، واستمر على ذلك أكثر من مدة ستة أشهر، كما أن مدة سيطرته على الحكم في ليبيا تقارب اثنين وأربعين عاماً من غير توقف، قام خلال ذلك بالاعتداءات والقتل والفتك وجرائم خلقية مع الفتيات الحارسات له بعدد جم، عاش بينهن كيفما شاء، وارتكب الجرائم الخلقية ما شاء أن يرتكب، وقد تدخل في شريعة الله وكتابه العزيز، فنادى بحذف كلمة "قل" من سورة الإخلاص والمعوذتين، وأنكر السنة النبوية كل الإنكار، وأحل محلها كتاباً وضعه باسم «الكتاب الأخضر»، الذي لم يكن في ناقة ولاجمل، وكان بطأ كتاب الله القرآن الكريم بالحذاء في مكتبته الخاصة، وقد نسخ تاريخ الهجرة وأحل محله تاريخ الوفاة، وكثير من التفردات الخاطئة في دين الإسلام، وشريعة الله تعالى، وكان يقول لجلسائه من الوقاحة: محمد(صلى الله عليه وسلم) كان ساعي بريد ثم ذهب، والعياذ بالله، وقد لقي مصرعه على يد شعبه الغضاب بسوء العاقبة، كما حكى ذلك جميع وسائل الإعلام بتفصيل، ونكتفي بإلقاء ضوء على مصيره السيىء من خلال مجلة "المجتمع" الكويتية الغراء، جاء فيها :

«ورغم تضارب الروايات حول مقتل «القذافي» فإن متابعة مجمل الصور والمشاهد الحية التي تم بثها تعين على رسم صورة تقريبية لماحدث؛ فقد حاول «القذافي» الفرار من المدينة بعد أن ضيق الثوار الخناق عليه، لكن تحركاته كانت تحت المراقبة، إذ شنت طائرات حلف شمال الأطلسي غارة على القافلة المكونة من ٤ سيارات التي كانت تغادر «سرت» على عجل وبشكل غير منظم باتجاه الغرب، منها سيارة جيب كرايزلر.. أطلق الثوار النار فترجل «القذافي» من السيارة، وكان يرتدي بذلة كاكية اللون وعلى رأسه عمامة ولجأ إلى نفق للصرف الصحي، ليتحقق فيه ما اتهم به الشعب الليبي، ويتحول إلى جرذ هارب

في شبكة المجاري.

اقترب الثوار من المكان، فخرج «القذافي» من جحره، وهو يمسك رشاش كلاشينكوف بيد، ومسدساً ذهبياً باليد الأخرى، وتلفت يميناً ويساراً وهو يقول: «شنوفيه» (ماذا يجري؟)، وربما كان مصاباً.

خارت قوى «القذافي»، وتمكن الثوار من السيطرة عليه وتجريده من سلاحه، ليتحول الزعيم الذي طالما أطلق التهديدات، إلى جبان يستجدي آسريه، ويتساءل بغباء، ماذا فعلت لكم؟! ويتذكر الآن أن الثوار أبناؤه ويتوسل إليهم قائلاً: أبنائي، لا تقتلوني.. وهنا اختلف الثوار فيما بينهم، إذ حاول بعضهم قتله، فيما سعى آخرون لمنع إعدامه ميدانياً، قائلين: إنهم يريدونه حياً.

وتكتمل المهزلة بأن يحاول «القذافي» إقناع الثوار بحقه في الخضوع لمحاكمة، ويسألهم هل تعرفون الصواب من الخطأ؟ وهو الذي سبق أن أعدم معارضيه على الملأ، كما ضرب بعضهم بغارات شنتها الطائرات الحربية.. وأثناء الجدل كان، «القذافي» يتعثر وسط الحشود، يسير متكئاً على بعض آسريه، يتسول طلباً للرحمة، قائلاً: حرام عليكم، انتوما تعرفوا الحرام؟.. وهو الذي خاض في المحرمات ولم يتورع عن الكبائر.

تم وضعه منبطحاً على غطاء محرك شاحنة، وأطلق البعض النار عليه من مسافة قريبة كما يقول خبراء الطب الشرعي».

ولا تزال قضية بشار الأسد في سوريا تترقب حكم الشعب السوري المتظاهر ضده، ويُرجى أن ينتصر الحق على الباطل في وقت قريب، وينتقل زمام الحكم إلى الأيادي المتوضئة من أهل العلم والحق والعدل بمشيئة الله تعالى، حتى ينتهي دور الظلم والطغيان والكفر البواح الذي يدعو إليه الشعب السوري المؤمن، وقد تحدى الذات الإلهية فأمر الجيش بالاعتقاد بكونه رباً وإلهاً، كما قال ضابط وهو يخاطب المعتقلين المسلمين: والله ربكم، وبشار ربنا، وادعى وقال: وسنرى من سينتصر في النهاية، وقال كلمة كفر تثير غضب الله تعالى: إن الله لا يستطيع ذلك، ونحن نقول له الآن: "**لا تستعجل، فإن ربك لبالمرصاد**".

وقد تمت الانتخابات بعد تصفية العناصر الموبوءة في كل من تونس ومصر والمغرب الأقصى حيث أسفرت عن انتصار الإسلاميين (المسلمين) على الطوائف الأخرى، وذلك معقد الأمل الكبير بقيام حكومة ائتلافية مسلمة هدفها التشخص الإسلامي، والمنهج الصحيح للحياة، والذي يجد فيه كل فرد من الشعب متنفساً لحياة الحرية الحقيقية والأمن والسلام.

في تونس تترقب جماعة النهضة الإسلامية قيام حكم إسلامي بصبر

نافذ، والشعب التونسي يمر بمرحلة الانتقال، وما يوم الفرح بعودة الإسلام وقيام حكومة إسلامية ببعيد (إن شاء الله)، وكذلك انتصار الإخوان وجماعة النور السلفية في الانتخابات التي جرت في مصر، مهّد الطريق نحو حكم إسلامي بمشيئة الله تعالى، يمثل السيرة الإسلامية، بعيداً عن كل تطرف، رغم ما شهّره المغرضون من السياسيين الغربيين ممن يعادون الإسلام ويحقدون على أهله.

فهذه هي وزيرة رعاية الشباب الفرنسية تدعي «جنيت يوغراب» وقد عاشت فريسة «إسلاموفوبيا»، تقول معلقة على نتائج الانتحابات في تونس ومصر والمغرب:

«ليس الإسلام إلا عبارة عن التطرف الكامل، وليس فيه مما يسمى بالاعتدال، وكل قانون يعتمد على الشريعة الإسلامية لا يكون إلا حرباً على حقوق الإنسان والحريات المدنية، فلا مناص من رفضه على الإطلاق».

هذه بعض الإشارات الخاطفة عن قادة الظلم والمسئولين عن الجور والاعتداءات التي قلما يوجد لها نظير في عهد العلوم والثقافات والتقنية والحضارات والمدنيات.

وقد عاش هؤلاء الظالمون حياة سرف وترف وجور وطغيان، وأذاقوا شعوبهم من مرارة الجوع والخوف والتعذيب ما الله به عليم. وإنما أملى لهم الله تعالى الذي لم يكن كيده ضعيفاً، فلقوا من المصاير المشئومة ما لم يكن في الحسبان.

يقول الله سبحانه:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [سورة الأنعام: ١٢٣].

ولعل ذلك ما تشير إليه آية من كتاب الله العزيز:

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [سورة بني إسرائيل: ١٦].

ويقول عز من قائل:

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ❖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [سورة النحل: ١١٢-١١٣].

وسيكون حديثنا بإذن الله تعالى حول التفاصيل الأخرى، التي تفيدها وكالات الأنباء الموثوق بها، في العدد القادم.

(سعيد الأعظمي الندوي)

١٤٣٣/١/٩هـ

٢٠١١/١٢/٥م

التوجيه الإسلامي

العدل في الإسلام

بقلم: سعادة الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه إذا جلس يحدث الناس، يبدأ بقوله: الله حكم عدل، فالله سبحانه يحب العدل، وحرم الظلم على نفسه، ويأمر عباده بالعدل في قولهم وحكمهم، ولو كان على ذوي القربى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [سورة النساء: ٥٨] وفي سورة النحل يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الآية ٩٠].

ولذا نرى تعاليم الإسلام، قد تأسست على العدل، أحكاما شرعية من الله سبحانه سواء بين الأبوين وأولادهما، أو بين الراعي والرعية، فقد جاء رجل من الصحابة ليشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حديقة منحها لابنه، فسأله ألك ولد غيره، قال: نعم قال: "هل أعطيتهم مثله"؟ قال: لا، قال أتشهدني على جور، اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم".

وقال في موطن: "لا وصية لوارث"، لأن الوصية فيها تفضيل بعض على بعض، والله سبحانه حدد أنصبة الورثة في سورة النساء بالعدل، كما هي حكمة الله وعدله في الأمور المالية التي هي مظنة الإيثار والشح، حددها سبحانه في كتابه الكريم بعدله ومواساته، حتى لا يترتب على ذلك شحناء أو قطيعة بين الأقارب والأرحام.

فالمواريث حدّدت بعدل الله في سورة النساء، والمغانم وضحها الله سبحانه في سورة الأنفال، وأهل الزكاة المستحقون لها، جاء ذكرهم وهم ثمانية في سورة التوبة، وحذّر سبحانه من تعدى الغني على الفقير في آيات البيع والحفظ بالكتابة بكاتب بالعدل، وحرم الربا وأحل البيع في سورة البقرة، وغيرها في كتاب الله العظيم، وأمر سبحانه بكتابة الوصايا عند الموت، وعند المداينة بكاتب عدل، وشاهدي عدل. {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ

مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ}.

وبين الراعي والرعية أو الحاكم والمحكوم، حدد المسئولية بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الكريم "كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع ومسؤول عن رعيته، وهم أهله وولده، والمرأة راعية ومسئولة عن رعايتها في بيت زوجها لتحفظ نفسها وماله وولده".

والقضاء في الإسلام يتمثل فيه العدل: بعلم القاضي وفراسته، واجتهاده في الحكم على شرع الله، وقد شدد الفقهاء في الشروط المطلوبة من القاضي، لأنه حاكم شرعي، حتى أنهم عقدوا له كتابا مستقلا سموه: "كتاب القضاء"، وجاء في الحديث: "القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، فأما الذي في الجنة: فرجل عرف الحق، وقضى به، ورجل عرف الحق، فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى بين الناس على جهل، فهو في النار" أخرجه أبو داود عن بريدة.

كما جاء التحذير والوعيد الشديد، من الكذب في الادعاء، ومن شهادة الزور، التي يترتب عليها أخذ حق ليس لمن أخذه، وجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبائر الذنوب، واليمين على ذلك باليمين الغموس، لأنها تغمس صاحبها في النار، والقاضي الذي حمله الله الأمانة، بأن يحكم بالعدل، وأن يتبين ويتروّي، هو حاكم شرعي بحكمه يفصل في الدماء، وتنتزع الحقوق، لتؤخذ بحكم الله، وحكم رسوله، ويجب عدم الشفاعة عنده، لأن الشفاعة قد تتجذب معها العاطفة، فيحصل الميلان في القضية، وقد شدد في هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في حكاية المخزومية، التي سرقت، فأهم عشيرتها أمرها، وأرادوا تفادي قطع يدها، ووصل أمرها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: مالنا بد من الشفاعة لديه، ووقع اختيارهم على أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاؤا إليه، وطلبوا منه، أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنها..

فلما كلمه غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا أسامة: أتشفع في حد من حدود الله، وشدد عليه في ذلك، فقال أسامة: أتوب إلى الله وإلى رسوله.. ولما جاء العشي، خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وكان مما قال: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.. "فأمر بالمخزومية التي سرقت أن تقطع يدها فقطعت، لأن هذا هو حكم الله: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة المائدة: ٣٨].

فالله سبحانه الذي شرع الأحكام، وحدد الحدود، وهو أرحم بعباده، وحكمه عدل، وتنفيذه عدل، وحماية للمجتمع من الفساد، وطغيان القادر على الآمن، وحماية للحقوق والأموال وعصمة للدماء، وتأميناً للمجتمع.

فبالعدل قامت السموات والأرض والحكم بالعدل خير من أن تمطر الأرض كذا خريفاً.

والمسلمون في تاريخهم لم يمنعهم الانصاف من أن يراعوا العدل إذا كان المتخاصمان، أحدهما غير مسلم، ولا يجوروا أو يظلموه، فإذا كان الحق له، انصفوه على خصمه المسلم، وفق عدالة الإسلام، التي رفع الله بها الظلم عن اليهودي، كما قال سبحانه :{وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ❖ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}[سورة النساء: ١٠٧ ـ ١٠٨] .

أورد السيوطي في سبب نزولها أقوالاً منها: ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد في الآية قال: كان رجل سرق درعاً من حديد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم طرحه على يهودي، واتهمه بسرقتها، فقال اليهودي: والله ما سرقتها يا أبا القاسم، ولكن طرحت علي، وكان الرجل الذي سرق، له جيران يبرئونه، ويطرحونه على اليهودي، ويقولون: يا رسول الله إن هذا اليهودي خبيث، يكفر بالله، وبما جئت به، حتى مال عليه النبي ببعض القول.

فعاتبه الله في ذلك فقال سبحانه :{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا❖ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ} بما قلت لهذا اليهودي{إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}ثم أقبل على جيرانه فقال:{هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ} فبين الله سبحانه أن اليهودي بريئ، فرفع عنه الظلم، رغم أنه لم يكن على دين الإسلام .. وهذا العدل وعدم الظلم أو الجور على الآخرين، من مناقب دين الله الحق، وهو الإسلام الذي لا يقبل سبحانه ديناً سواه".

وبمثل هذا دخل كثير من اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل في دين الإسلام، عن رغبة وبطواعية، لأن عدالة هذا الدين التي هي حكم الله، تحق الحق، وتدفع الظلم وتمنع أن يتعدى أحد على سواء بقدرته الكلامية وذرابة لسانه، وكونه أقدر على الحجة من الآخر، أو بأي وسيلة ارتكبها لغمط الناس وأخذ ما لديهم مما هو ليس حقاً له، مما يموه به على القاضي في حكمه، فإن كان برشوة، فإن الله لعن فيها ثلاثة: الراشي والمرتشي، والمراتشي، يعني الآخذ، والمعطي والوسيط.

وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه عند ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على توزيع الحقوق في خيبر قسمها بالعدل، فقال اليهود: لما أخبرهم بأن هذه قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرفوا أنها عدل، وقالوا: على هذا قامت السموات والأرض، وهذه هي عدالة الإسلام، وحكم الله، التي ترتاح معها النفوس للعدل والقسط، ومن أحسن من الله حكما.

تامين الخائف :

ذكر علي الهذلي المتوفى في آخر القرن الثامن الهجري في كتابه مقالات الأدباء: أن الخلافة لما أفضت إلى بني عباس، اختفى رجال عنهم من بني أمية، فكان ممن اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك، حتى أخذ له داود ابن علي أماناً من أبي العباس، فقال له أبو العباس يوماً: حدثني عما مرّ بك في اختفائك، فقال: كنت يا أمير المؤمنين مختفياً بالحيرة في منزل مفض إلى الصحراء، فبينما أنا ذات يوم على سطح بيت نظرت إلى أعلام سود، قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في روعي أنها تريدني، فخرجت من الدار متنكراً، حتى دخلت الكوفة، ولا أعرف بها أحداً، أختفي عنده، فدخلت متخوفاً، فإذا أنا بباب كبير ورحبة واسعة، فدخلت الرحبة، فجلست فيها، فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس، قد دخل الرحبة، ومعه جماعة من أصحابه، وأتباعه، فقال: من أنت وما حاجتك ؟.

فقلت: رجل مخيف، يخاف على دمه، واستجار بمنزلك، فأدخلني منزله، ثم صيرني في هجيرة تلى منزله فمكثت عنده حولاً في كل ما أحب، من مطعم، ومشرب، وملبس، لا يسألني عن شيء من حالي. ويركب كل يوم ركبة، فقلت له يوماً: أراك تركب كل يوم، ففيم ذلك ؟

قال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا ـ يعني حبسه حتى مات ـ وقد بلغني أنه مختف، فأنا أطلبه لأدرك ثأري؟ فكثر تعجبي من إدبارنا إذ ساقني القدر إلى الاختفاء بمنزل من يطلب دمي فكرهت الحياة.

فسألته عن اسمه، واسم أبيه، فخبرني بهما، فعلمت أني قد قتلت أباه، فقلت: يا هذا، قد وجب حقك علي، ومن حقك أن أقرب لك الخطوة؟ فقال: وما ذاك؟ قلت: أنا إبراهيم بن سليمان، "قاتل أبيك" فخذ بثأري، فقال: أحسب أنك رجل قد أمضه الاختفاء، فأحب الموت، قلت: بلى! إن الحق ما قلت لك، قتلت أباك في يوم كذا، بسبب كذا. فلما علم أني صادق تربد وجهه، وأحمرت عيناه، واطرق ملياً ثم قال : أما أنت فستلقى أبي فيأخذ بحقه منك، وأما أنا فقير مخفر بذمتي، فاخرج عني فلست آمن نفسي عليك، وأعطاني ألف دينار فلم أقبلها منه، وخرجت من عنده، فكان أكرم رجل رأيت [ص: ٢٤٢ـ ٢٤٣].

المسجد في الإسلام

بقلم: الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

إن المساجد هي بيوت الله في الأرض، وهي خير بقاع الأرض، وأحبها إلى المولى جل وعلا، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : "أحب البقاع إلى الله مساجدها وأبغضها إليه أسواقها"(رواه مسلم)، كما إن رواد المساجد ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه سَمِعتُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ يَقُولُ:"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين" (أخرجه البخاري ومسلم).

وعمارة المسجد على نوعين: عمارة حسية، ويعني بها بناء مكان يأوي إليه الناس، ليصلوا فيه، ويتعبدوا ربهم تحت جدرانه، وقد ثبت جملة من النصوص الشرعية، تحث على بناء المساجد، والعناية بشؤونها، وحفظها من الأوساخ والأدران، ومنع السفهاء والغوغاء من الإضرار بها، فمن ذلك قوله تعالى{ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**}[التوبة"١٨]، وحذر من إفسادها فقال عزوجل في سورة البقرة: الآية:١١٤] {**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ، لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} .

وعند أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت:" أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب" وفي الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام "من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بني الله له بيتاً في الجنة". وفي رواية "بنى الله له مثله في الجنة". وأما عمارة المساجد المعنوية، والتي هي الأصل الأصيل في العمارة، فالمراد بها أداء الصلاة والاعتكاف وقراءة القرآن وذكر الله فيها، واتخاذها منطلقا للتوجيه والتربية ونحو ذلك، أما مجرد عمارة المسجد وزخرفته والتباهي بحسن بنائه وتصميمه، مع خلوه من العباد والمصلين فليس مراداً في الشرع، كما هو حاصل في كثير من بلاد الإسلام اليوم، يقول الله تعالى :{**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**

يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ}[سورة النور: ٣٦ . ٣٧]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قلنا بلى يا رسول الله! قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط». وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد، كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي عليه - يعني - الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث فيه». ولهذا نرى أن المسلمين إذا نزلوا أرضاً أو فتحوا مصراً يكون عملهم الأول أن يبنوا مسجداً لله فهو موضع عبادتهم ومركز تجمعهم، ومجلس قضائهم علانية بأحكام الله .

ولقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أصحابه، ومن دخل في دين الله، يحتاجون إلى تربية وتعليم، وتوجيه وإرشاد، وذلك يتطلب مكاناً يجتمعون فيه، ويتدارسون شرائع الإسلام وأحكامه في رحابه، فكان أول عمل بدأ به "عليه السلام" أن شرع هو وصحابته الكرام في بناء المسجد. فمنذ تلك اللحظة صار المسجد منارة تشع في أرجاء دولة الإسلام الناشئة، حيث أصبح مكاناً لأداء العبادة من صلاة واعتكاف، فأقدامهم متراصة وأكتافهم متزاحمة وجباههم جميعاً على الأرض ساجدة وخاضعة، وألسنتهم بذكر الله ذاكرة وعلى نعمه شاكرة وحامدة، وهو المكان الذي يبث من خلاله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أحاديثه النورانية، فيصلح المعوج، ويهدي الضال، ويرشد الحائر، وينفس عن المكروب، كما أصبح مكاناً للملتقى المسلمين ومنتدى لحواراتهم، ومقراً لاجتماعهم، ومركزاً لمؤتمراتهم، ومحلاً لتشاورهم وتناصحهم، فيه يتآلفون ويتعارفون، وفيه تتضافر جهودهم وعلى الخير يتعاونون، وفيه تحل مشاكلهم وتقضي حوائجهم، فبالحضور فيه يتلمسون غائبهم ويودعون مسافرهم، ويعودون مرضاهم، ما دهاهم من أمر ولا نزل بساحتهم من خطب إلا نادوا فيه "الصلاة جامعة" يستوي فيه الأمير والفقير والكبير والصغير، كما كان المسجد على عهده عليه الصلاة والسلام مركزاً للرئاسة وإدارة شؤون الدولة، وكان يستقبل فيه الوفود من الأقطار والأمصار، إذ أنه المكان المناسب للحوار والنقاش، وظل المسجد مقر الحاكم المسلم ودار حكومته حيناً من الدهر، يتم من خلاله تعبيد الدنيا بدين الله، وإقامة حضارة على منهاج النبوة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفصل بين الخصومات ويقضي بين المتخاصمين في مسجده صلى الله عليه وسلم، ومضى الحال على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين من بعده، ففي رحاب المسجد كان التقاضي والقضاء، وفيه كانت تجري الملاعنة بين الرجال والنساء، كما كان المعهد والمدرسة والجامعة التي تخرج منها العلماء والدعاة والقادة الذين على أيديهم وبفضل من الله أشرق على الأرض نور هذا الدين، فزواياه كانت حلقات علم وذكر. ولم يكن المسجد فقط لهذه الوظائف فحسب، بل كان أيضاً مقراً لقيادة الأركان، ففيه تعقد الألوية لقواد الجيوش، ويعلن الحرب من على المنبر، وكانت الخطط الحربية يتفق عليها فيه، وفي جنباته يتدرب الجنود على القتال، وكذلك كانت السرايا تنطلق منه، فقد كان المسجد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين عرين أسود، ورياض جهاد، ومدرسة وجامعة، ومقراً لقيادة أركان الجند، ومجلس شورى لهم، ومارس فيه الجهاد بكل أبوابه، ومجالاته، سواء كان جهاد المال أو النفس أو جهاد الكلمة والحجة أو جهاد الكفر والكافرين، كان الجرحى فيه يمرضون، وبسواريه فيه الأسرى يربطون، فإذا بهم على الإسلام يقبلون، لما رأوا من شأن المؤمنين فيه، ذلك أن بيت الله أحق البيوت أن ينطلق منها، ويرجع إليها، ويتجمع فيها. يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله متحدثا عن المساجد موضحا ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت مواضع الأئمة، ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والذكر والقراءة، وتعليم العلم والخطب، وفيه عقد الألوية، وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، فيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم، كما أن صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، يوم أن أخذ الله بيده، ليعود بالأمة إلى سالف عزها، ويستعيد لها بإذن الله كرامتها، بدأ بها أول ما بدأ بالعودة إلى المساجد، فأمر العلماء بعمرتها بدروس العقيدة والفقه والسيرة واللغة، وأعاد الأمة إلى بيوت الله، لتتسلم دورها القيادي، فإذا بالحياة تدب في العروق من جديد، وإذا بالنصر يقدم، وبالعز يقبل، وما هي إلا هنيهات في زمن التاريخ المتطاول، حتى ترددت في جنبات مسرى الحبيب و أولى القبلتين أصداء الأذان وتكبيرات النداء، بعد أن كان خروجه لملاقاة عدوه من النصارى بعد صلاة الجمعة يوم سبعة عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة، وخرج معه المسلمون من المساجد إلى الجهاد، وهم يكبرون ويتضرعون، فنصرهم الله، إنها الأوبة الصادقة والانطلاقة المباركة، فهل لذلك العود من عود؟ وهل لذلك البدء من ابتداء؟ نرجو ذلك .

وفي العصر الحديث كان للأزهر الشريف دور بارز في مقاومة المعتدين والمحتلين، الذين حاولوا اغتصاب أراضي مصر، كان شيوخ الأزهر هم القادة الطبيعيين لشعب مصر، وهم الذين يقودون الجماهير، فقاد علماء الأزهر وشيوخه ثورة عارمة ضد الأيوبيين وضد المماليك وضد العثمانيين، كما قاد الأزهر ثورة مصر والمصريين ضد الفرنسيين في ثورة القاهرة الأولى بقيادة الشيخ السادات، وثورة القاهرة الثانية برئاسة الشيخ عمر مكرم. كما قاد الشيخ الشرقاوي المقاومة ضد نابليون بونابرت، وقد ألف الأزهر لجنة لتنظيم الثورة ضد الفرنسيين، وعندما قامت ثورة عام ١٧٩٨م في القاهرة احتشدت الجموع في الأزهر ينادون بالجهاد ضد الفرنسيين، وهاجموا الفرنسيين ومعسكراتهم وقتلوا الجنرال ديبوي حاكم القاهرة، فأخذ الفرنسيون يطلقون النار على الثوار في الشوارع، وتدفقت الجماهير إلى الأزهر واحتشد فيه المواطنون وأقاموا المتاريس في الطرق والأزقة، وأمر نابليون بضرب الأزهر والقاهرة من على جبل المقطم وانهالت آلاف القنابل على الأزهر والقاهرة، ودخل جنود فرنسا الجامع الأزهر، وعسكروا فيه بخيولهم، ومنعوا الطلاب والعلماء من دخوله، كما كان قتل الجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية على يد أزهري يسمى سليمان الحلبي الذي كان طالباً بالأزهر عام ١٨٠٠م، وقد أعدم على فعله هذا. وبعد خروج الفرنسيين قاد الأزهر وعلماؤه رغبة الشعب في حكم أنفسهم بأنفسهم، واختار علماء الأزهر محمد علي واليا على مصر، وطالبوا بخلع خورشيد باشا الوالي العثماني، فاستجاب لهم السلطان العثماني، وقد اشترك علماء الأزهر وشيوخه على محمد علي أن يحكم بالعدل وإلا أقالوه. و وقفوا بعد ذلك ضد محمد على عند ما اغتصب الأوقاف وأرهق الشعب بالضرائب .

ووقف الأزهر ضد الحملة الإنجليزية على مصر عام ١٨٠٧م، وأفتى علماؤه بوجوب الجهاد. وقاد الأزهر وعلماؤه الثورة العرابية، حتى إن أحمد عرابي زعيم الثورة كان أزهريا، كما كان أغلب رجال الثورة العرابية من الأزهر، مثل عبد الله النديم، والشيخ محمد عبده، وسبقهم رفاعة رافع الطهطاوي، كما أن علماء الأزهر عزلوا الخديوي توفيق الذي شردهم ونفاهم، وصادر أملاكهم عقب فشل الثورة العرابية. و وقف الأزهر وعلماؤه وقفة شجاعة ضد الإنجليز، وساندوا الحركة الوطنية المصرية وثورة ١٩١٩م، وقاد الأزهر حركة الشعب بقيادة علماء الأزهر مثل الشيخ القاياتي، والشيخ أبو العيون، والشيخ الزنكلوني، والشيخ عبد الباقي سرور، كما أن قائد الثورة سعد زغلول كان من رجال الأزهر، وقامت النساء بمسيرتهن، وقاومن الإنجليز من الأزهر أيضا، وظل الأزهر يقود مصر ومقاومة مصر للمحتلين والطغاة حتى بارك ثورة يوليو عام ١٩٥٢م، التي أنهت الاحتلال .

ثم من على منبر الأزهر بدأت مقاومة الشعب المصري للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، فعندما تآمرت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر فيما سمي بالعدوان الثلاثي لم يجد جمال عبد الناصر منبرا إلا منبر الجامع الأزهر ليعلن من فوقه "هنحارب، هنحارب" لحشد الجماهير حوله، حقا إن الأزهر الشريف رمز من رموز مصر، وقلعة من قلاع النضال الوطني.

لقد عرفنا ما للمسجد من مكانة عالية ومنزلة رفيعة، وأنه بموضع القلب النابض لدى المسلمين، ولهذا نرى أن أول كيد في الإسلام، كان كيد الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا، يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة:١٠٧-١١٠]. وإنه لا يخفى اليوم على كل مسلم ما تقوم به القوى المعادية للإسلام على مسمع ومشهد من العالم من انتهاك لمساجد المسلمين، وتهديم لمعالم الهدي، وإطفاء لنور التقوى، ففي إطار تسارع عدد من الدول العربية لمجاملة الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على ما تسميه بالإرهاب، تقوم السلطات الأمنية في بعض هذه الدول بتأميم المساجد الأهلية وإغلاق العديد من المساجد والزوايا تحت أي حجة من الحجج. وفي بعض المناطق كان رجال الأمن لا يسمحون لأحد بدخول المسجد إلا بعد الإطلاع على تحقيق الشخصية، وعندما يجد رجل الأمن أحد الأفراد سكنه بعيداً عن المسجد يمنعه من الدخول، بل ويضعون رقابة صارمة على المساجد، ويقومون بتجنيد عملاء لمراقبة المصلين، ومع من يقفون ومع من يتحدثون، كما لا تفتح المساجد أبوابها إلا قبل نصف الساعة من الآذان، وتغلق بعد حوالي ربع الساعة من انتهاء الصلاة، مع التنويه بعدم وجود حلقات للدروس الدينية، يعملون على تجنيب المساجد الخوض في السياسة، وجعلها فقط أماكن تعبد، وإلغاء دورها في توجيه الرأي العام والتوعية الشعبية.

كما أنهم يعملون على تصفية المساجد من الخطباء والدعاة المعارضين، يتهمونهم باستخدام المساجد لأغراض سياسية، وبواسطتهم ينتشر التطرف والغلو، وإثارة مشاعر الناس لمصالحهم الذاتية، وواصفة لهم بالمكفرين والمتطرفين، وأصبح القائمون على إدارة المساجد أبواقا للأنظمة العميلة، وأصبح المطلوب منهم تبرير جرائم وخيانة الحكام، ووضعها في قالب شرعي، وأن تجعل من الحكام الخونة المجرمين أبطالا فاتحين، وقادة ملهمين، وتظهر جرائمهم وخياناتهم بالمظهر الشرعي، بعد أن

تكون قد لوت عنق النصوص الشرعية، ولفت ودارت على الأحكام الشرعية، تفعل ذلك لتلبس على الناس دينهم، بل أخذوا يستعينون بالقائمين على المساجد لتبرير جرائم أعداء الإسلام ضد المسلمين، بحجة محاربة الإرهاب، فكانوا في خندق واحد مع الكفار ضد الإسلام والمسلمين، كما أصبح المسجد مكانا لترسيخ لعقليات القطيع، يوم أن أوصدت أبوابه، وجففت منابعه، واقتصر فيه على أداء الفرائض، ففتحت للجهل والأمية من وراء ذلك أبواب، وبدأ الرباط الوثيق بين أفراد المجتمع المسلم من حوله يتفكك، ويتقطع إلى أوصال وأشلاء، لايعرف بعضها بعضاً، وتلك والله خسارة لا يعوضها ناد من النوادي، ولا منتدى من المنتديات ولا مؤسسة أيا كانت من المؤسسات أو الإدارات، فلا الجامعات ولا صالات المؤتمرات وقاعات المحاضرات وميادين الاحتفالات، تستطيع بمفردها أو بمجموعها، أن تسد ذلك المسد، أو تغطي جانبا من جوانب ذلك الدور الروحي الإيماني التربوي العلمي الأخلاقي للمسجد، وهذا لا يعني التقليل من شأن تلك المرافق الحيوية أو الاستهانة بمعطياتها، ولكنها لن تؤدي أكلها وتثمر أشجارها إلا إذا ما اعترفت بأستاذية المسجد عليها وريادته وسيادته على جوانبها، وكانت أهدافها وغاياتها امتدادا لرسالة المسجد ومرسخة لدعائمه، كما أصبح الطريق إلى المسجد أو الجامع في زماننا هذا في بعض البلدان محفوفا بالمكاره، ومحاطا بالأعين، وإذا بعلامات الاستفهام وأصابع الاتهام، تمتد إلى تلك الوجوه المتوضئة، والأجساد الطاهرة، مع أن تلك الأقدام السائرة إلى بيوت الله في الظلم، لصلاتي الفجر والعشاء، والمبشرة بالنور التام يوم القيامة، لو كان خطوها إلى مقاهي سمر آثمة، أو دور سهر محرمة، لما نالها مما نالها شيء.

وأخيرا وليس آخرا عندما حاد المسلمون عن الطريق الصحيح، واعتبروا أن المسجد للصلاة فقط، ومنعو الحق من الصدع فيه، وعندما اعتصموا بمقولة: لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، وأن المساجد ليست لفضح خطط الكفار وليست مكانا لكشف المؤامرات، عندها وصلنا إلى ما نحن فيه من ذل وهوان، فتكالبت علينا الأمم من كل حدب وصوب، تنهش لحومنا، وتدنس مقدساتنا، وتحرق مساجدنا، وتسيء إلى رسولنا، وتنهب أموالنا، وتستولي على مقدراتنا، وتغتصب أرضنا، فلا بد من أن نعمل على إعادة المسجد إلى دوره القيادي وعمله الرائد الشامل الذي كان عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يستبدل بغيره، ولا يصح أن تقتصر دائرة العلاقة به على مجرد تأدية الصلوات الخمس، ثم يتم إغلاقه. كما ينبغي على من يتصدر لرسالة المسجد من أئمة وخطباء ومدرسين أن يكونوا على مستوى هذه المهمة الشريفة، بحيث يصبح المسجد مصدر إشعاع للحي والبلد الذي يوجد فيه.

★★★

كيفية التعامل مع العولمة

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الأستاذ محمد نعمة الله إدريس الندوي (أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة)

من كل ما سبق يمكننا القول بأن العولمة ظاهرة متعددة الأبعاد والزوايا من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وأنها إن ولدت في نهاية القرن العشرين لكن لها جذوراً تاريخية عميقة. وهي تمثل في مجمل الأمر حضارة غربية في ثوبها الجديد تحت قيادة الولايات الأمريكية الجديدة، تريد أن تغزو العالم وخصوصًا عالم الشرق، والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي، وتفرض سيطرتها عليه سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا. وهي على غرار الاستعمارات السابقة، تحمل في طياتها تحديات كبرى وإن كانت متسلحة بتقنياتها الحديثة الرهيبة وأساليبها المبتكرة الفذة في المكر والخداع والمراوغة، ولكنها في نفس الوقت لا تخلو من إيجابيات و فوائد .

وبما أن الأمة الإسلامية تستند إلى دين سماوي ومنهج رباني جاءت تشريعاته الخالدة متوافقة مع المصالح البشرية في زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة، ومتضمنة السعادة الحقيقية لسائر الناس على وجه الأرض، فإنها أقدر شعوب العالم على التعامل مع العولمة التي لا تعدو أن تكون نتاجا عصريا للفكر الإنساني مهما علا قدره. أما الإسلام فهو شريعة الله في أرضه، ورسالته وافية شافية صالحة للإنسانية جمعاء .

يقول الباحث الإسلامي الدكتور أحمد فؤاد باشا وكيل كلية العلوم بجامعة القاهرة في كتابه "الإسلام والعولمة" :الإسلام بتشريعاته ونظمه العادلة لايخشى التعامل والتفاعل مع اية سياسة دولية إذ هو دين قادر على التفاعل والتواصل مع الآخرين... ويقول: مما يؤكد مبدا الانفتاح والتواصل بين الأمم في دعوة الإسلام العالمية من أجل الخير لكل البشر أنه كفل المحافظة على الحقوق والعهود والمواثيق للذين لم يتآمروا عليه، فقال الله تعالى:{لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}[سورة الممتحنة: ٨] .

وفي ضوء هذه المبادئ السامية التي سنها الإسلام للتعامل مع غير

المسلمين انتشرت رسالته في جميع أنحاء الأرض (1) .

إن التاريخ لخير شاهد على تفاعل الحضارة الإسلامية المثمر مع الحضارات الإنسانية المختلفة للاستفادة من خبراتها ومواصلة النهضة والتقدم والتطور في المجالات *المتنوعة* للحياة .

يقول الدكتورأحمد باشا: "ازدهرت الحضارة الإسلامية في جوانبها المادية نتيجة التقائها بثقافات الإغريق والرومان والفرس والهنود وغيرهم حيث تعرف المسلمون على علوم كثير من الشعوب من غير ملتهم ، وتكونت لديهم خبرات واسعة في شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والعمرانية والعلمية والتقنية" (2) .

.تطبيق مبدأ "خذ ما صفا ودع ما كدر":

نستطيع أن نتعلم من تاريخنا المجيد كيفية التعامل مع العولمة، وذلك بتطبيق مبدأ "خذ ما صفا و دع ما كدر"، حيث نجد أن عالمية الحضارة الإسلامية قد اتسمت بسمة بارزة ألا و هي أن المسلين في تفاعلهم مع الحضارات الأخرى عرفوا جيدا ماذا يأخذون وماذا يتركون، فعندما ترجموا إلى اللغة العربية كل ما عرفوه من تراث الأقدمين، صهروا هذه الخبرات والمعارف في بوتقة الإسلام، فجاءت ممهورة بخاتم الحضارة الإسلامية ومطبوعة بطابعها، وأضافوا إليها إسهامات جديدة أبدعوا فيها إبداعا لم يسبق له نظير في تاريخ الحضارة الإنسانية .

يقول الدكتورأحمد باشا: "فبينما نجدهم قد ترجموا علوم الإغريق وحكم الهند، وسير أبطال فارس، فإنهم لم يترجموا من أدب جيرانهم إلا ما هو في حكم الفكر.. و رغم أن تراث الإغريق كان المنبع الأساسي الذي أخذ منه المسلمون في أولى مراحل النهضة العلمية الإسلامية، وبالرغم مما اتصف به هذا التراث الإغريقي من إنكار للوحي، وتجسيد لهيمنة العقل وسلطان العقلانية، في المجتمع المقسم إلى سادة وعبيد إلا أن الحضارة الإسلامية ظلت محافظة على قوام الدين الإسلامي ومقوماته، فقاومت عقلانيتها المؤمنة أي تأثير يؤدي إلى شطرها أو تلويثها (3) .

وقال: إن حضارة الإسلام التي تفاعلت مع ثقافات الأمم أخذاً وعطاءاً لا تخشى العولمة.. فالإسلام قوي بمادئه، متميز بتشريعاته العادلة، مستقر بتوازنه

1 - جريدة الخليج في عددها الصادر يوم الجمعة ١٧ جمادي الآخرة ١٤٢١ هـ الموافق ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م ، تعليقا على الكتاب: الإسلام و العولمة.
2 - نفس المصدر السابق.
3 - نفس المصدر السابق.

الفريد بين النواحي المادية والروحية [1].

. الاستفادة من إيجابيات العولمة:

مما لا شك فيه أن التقدم العلمي الهائل في وسائل الاتصال وحدوث الثورة في المعلومات ومجالات التكنولوجيا من المميزات التي تمتاز بها العولمة، مما ساهم في سقوط الحواجز المكانية والزمانية بين مختلف دول العالم، وتحويل إلى قرية كونية صغيرة. فهذا العصر هو عصر العلم والتكنولوجيا اللذين أصبحا من ضرورات الحياة الإنسانية المعاصرة، وأصبح حجم المعرفة الإنسانية يتضاعف من حين لآخر، فالعملية مستمرة متلاحقة.

ومن هنا يتوجب علينا أن نتحرك بسرعة وفاعلية للنلحق بركب هذه الثورة؛ لأن من يفقد في هذا السباق العلمي والمعلوماتي مكانته، يفقد سيطرته ويكتب على نفسه التخلف والانزواء في مجاهيل التاريخ. فمسايرة العصر الذي نعيش فيه بما لا يضر بثوابتنا الأصيلة وعقيدتنا الراسخة أمر واجب علينا [2].

أصبح من الضروري التعامل الذكي مع كل المعطيات العصرية من انترنت وكمبيوتر وفضائيات وهواتف متحركة ونحوها بوعي وإدراك كاملين، حتى نتمكن من الاستفادة من الإيجابيات ومحاولة تلاشي السلبيات، ولا نبقى مهمشين سطحيين متفرجين.

يجب علينا أن نوظف التقنيات الحديثة في نشر القيم والمبادئ السامية التي دعت إليها كل الأديان السماوية، لترتقي بالإنسان إلى الرفعة والرقي، وتدفعه إلى التقدم االحقيقي في هذه الحياة، وتجنبه الآثار الضارة للقيم المادية التي تعتمد عليها العولمة. والأجدر بمثل الإسلام العليا أن تشغل مساحتها الواسعة اللائقة بها في النظام الإعلامي الجديد لما تتسم بتحقيق التوازن في المتطلبات المادية والروحية للإنسان، ولايمكن له الحصول على السعادة المنشودة في دنياه وآخرته إلا عن طريقها. قال الله تعالى :{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ}[سورة آل عمران:٨٥].

ولا نكتفي باستخدام أدوات الثورة التكنولوجية و نتاجها فحسب، بل نسعى جاهدين لمعرفة كيفية إنتاج مثل هذه الأدوات والآلات. وأمتنا قادرة على المنافسة في هذا الميدان بالإبداع والابتكار، كما كانت رائدة فيها في ماضيها، ولكن بشرط جدية العمل واستثمار جميع الوسائل والإمكانات.

ومن مرتكزات العولمة أيضا، حرية انتقال رؤوس الأموال والسلع

1 - نفس المصدر السابق.
2 - باختصار وتصرف من مقال الشيخ شريف عبد الله شريف الواعظ بأكاديمية الشارقة للعلوم الشرطية المنشور في جريدة الخليج في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٩/٩/ ٢٠٠٠م.

والخدمات بين الدول لتحقيق الرخاء المعيشي والنمو الاقتصادي. وهذا الأمر من حيث المبدأ لا يخالفه الإسلام، لكنه يرفض تلك الظواهر السلبية التي تصاحبه في ظل العولمة الاقتصادية من الجشع والاستغلال وتعظيم المنفعة إلى أبعد حد مستطاع وتركز الثروة في أيدي فئة قليلة من الناس. فإن الشركات الرأسمالية التي تستثمر أموالها يحكمها منطق تحقيق الربح والثراء ولو أدى ذلك إلى صراع مسعور تسقط فيه كل القيم الإنسانية، بينما الإسلام ينافي تماما النمط الاقتصادي الرأسمالي، ويقدم نمطه الاقتصادي الخاص به والذي يقوم على دواعي الرحمة والرأفة بالبشرية، ويربي في المسلم الإيثار والنجدة والصدق والمسؤولية عن الغير:

فالله تعالى يقول:{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[الحشر:٩]، ويقول تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}[المطففين ١-٣]؛ ويقول: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا} [الإنسان:٩].

وجاء في الحديث: «ما آمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهويعلم به» [1]. وفي الحديث :«من دخل في شيء من أسعار المسلمين يغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقذفه في جهنم رأسه إلى أسفله» [2].

وفي الحديث «من احتكر فهو خاطئ» [3] وفي الحديث «زن وأرجح» [4].

وقصة سيدنا عثمان رضي الله عنه عام القحط الذي يسمى بعام الرمادة في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما تبرع بتجارته للفقراء ولم يستجب لإغراء التجار بالربح الوفير، قصة معروفة ومشهورة في حسن رعاية الإسلام.

هذه القيم الرفيعة الموجودة في الإسلام تتنافى تماما مع الرأسمالية التي لا تؤمن إلا بالقيمة المادية، وهي إحدى قيم الإسلام إلى جانب قيمه الإنسانية العليا.

فإذا فتحت الأبواب أمام الشركات الأجنبية لمزاولة الأنشطة الاقتصادية في دولة إسلامية، فلابد للدولة أن تمارس سلطتها الكاملة دون الخضوع للضغوطات الخارجية للحيلولة دون أطماع أصحابها في نهب خيرات البلاد، والتسبب في إفقار العباد، وأن تكون أعمالها وأنشطتها محكومة بأحكام الإسلام عامة، ومبنية على

1 - رواه الطبراني.
2 - رواه الحاكم.
3 - أخرجه الإمام مسلم
4 - رواه الترمذي.

أن لا تضر مطلقاً بالصناعة المحلية أو بأي أمر من أمور المسلمين (1) .

وما لا يتجادل فيه اثنان أن العولمة تفتح آفاقا واسعة وتتيح فرصا لأولئك الذين لديهم المهارة والقدرة والمؤهلات التي تمكنهم من الحركة والازدهار في العالمية. فمن أراد الاستفادة من كل الإمكانات التي توفرها العولمة للنهوض وليس للخضوع، فليتأهل لذلك ليتمكن من الصمود .

محاور التصدي لسلبيات العولمة الثقافية :

ينبغي أن تتضافر الجهود على عدة محاور لمواجهة أخطار العولمة الثقافية التي تعتبر من أخطر أوجه العولمة، إذ لا يمكن التصدي لهذه الأخطار إلا ببرامج عملية مدروسة:

١ – الاهتمام الجاد للدعوة إلى العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على التوحيد الذي يغرس في قلب المسلم أن لا يخضع إلا لله، ولا يتقبل القيم والعادات إلا في ضوء تعاليم الدين، وأن يكون متحصنا بإيمانه، واثقا بدينه، فخورا بماضيه و تاريخه، معتزا بثقافته وحضارته. وإلى جانب العلماء والدعاة، تشارك مؤسسات علمية وإعلامية متخصصة وكفؤة في هذه المهمة، وأن تكون مدعومة من حكومات وشعوب المسلمين. لم يكن لمبادئ الشرق والغرب أن تجد موطئ قدم لو حملنا هذا الدين بصدق، علما وعملا ودعوة كما قال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء : ١٨]. فنحن نعمل ومعنا معية الله وتأييده، ورسالتنا هي دين الفطرة والعقل، وقد جرب العالم كل شيئ، وهو يحتاج إلى بديل يبحث عنه، لم يعثر عليه بعد .. ولن يعثر عليه إلا في الإسلام {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩] .

٢ – إبراز معنى عالمية رسالة الإسلام و كونيتها و توضيح ما يميزها من العولمة. فإن الإسلام بلا شك جاء لجميع البشر و دعوته عامة شاملة إذ تؤكد هذه الحقيقة أكثر آية قرآنية، مثل قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأنبياء:١٠٧] ، و قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[الفرقان:١] ، ومعنى العولمة كما مر علينا، وهو تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، يقترب في ظاهره من هذا المعنى، لكن بينهما بون شاسع و برزخ لايبغيان:

فأولا: إن عالمية الإسلام لا تقر بإلغاء الثقافات والهويات و تعددها وتلونها حيث قال الله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} ليونس: ٩٩] ، وذلك مخالف لطبيعة الأشياء وسنة الحياة التي وضعها الله سبحانه و تعالى في خلقه، حين

1 - الكلام عن نمط الاقتصاد الإسلامي مقتبس من مقال المهندس أبو بكر عساف بعنوان العولمة وآثارها الاقتصادية المدمرة في موقع الوعي .

جعل بينهم اختلافا وتعددا وتنوعا إذ يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[الحجرات: ١٣]. بل يؤمن الإسلام بأن لكل أمة خصوصيتها ولا يرفض التباين بين الأمم، و يدل عليه قول الله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}[المائدة : ٤٨] ، بينما عرفنا بما قلناه سابقا بشيئ من التفصيل أن الغرب بل أمريكا تسعى جاهدة لإقصاء الطرف الآخر وعدم قبول ثقافته وتعمل بكل السبل والوسائل المتاحة لفرض ثقافة واحدة على العالم عامة و على العالم الإسلامي خاصة .

ثانيا : إن عالمية الإسلام تنبني على فكرة احترام بني البشر والاعتراف بآدميتهم وكرامتهم، وتنظر إليهم بأنهم من أصل واحد ومتساوون في الإنسانية، وتعاملهم معاملة الأخ لأخيه و ليس معاملة السادة للعبيد كما نرى ذلك واضحا جليا في سياسات العولمة وتطبيقاتها العملية .

ونترك المجال الآن للكتور الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله لما أورد كلاما وافيا وشافيا في هذه النقطة، فيقول في معرض حديثه حول موضوع: "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة":

"فالعالمية في الإسلام تقوم على أساس تكريم بني آدم جميعا{ولقد كرمنا بني آدم}[الإسراء: ٧٠.]، فقد استخلفهم الله في الأرض، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه. وكذلك على أساس المساواة بين الناس في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية، وأنهم جميعًا شركاء في العبودية لله تعالى، وفي البنوّة لآدم، كما قال الرسول الكريم أمام الجموع الحاشدة في حجة الوداع: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى..."[٢] .

وهو بهذا يؤكد ما قرره القرآن في خطابه للناس كل الناس:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات: ١٣] .

ولكن القرآن في هذه الآية التي تقرر المساواة العامة بين البشر، لا يلغي خصوصيات الشعوب فهو يعترف بأن الله تعالى جعلهم (شعوبا وقبائل) ليتعارفوا.

أما (العولمة) فالذي يظهر لنا من دعوتها حتى اليوم: أنها فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصًا عالم الشرق، والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي .

الولايات المتحدة بتفوقها العلمي والتكنولوجي وبقدرتها العسكرية الهائلة، وبإمكاناتها الاقتصادية الجبارة وبنظرتها الاستعلائية.. ترى نفسها أنها

سيدة العالم .

إنها لا تعني معاملة الأخ لأخيه كما يريد الإسلام، بل ولا معاملة الند للند كما يريد الأحرار والشرفاء في كل العالم، بل تعني معاملة السادة للعبيد والعمالقة للأقزام والمستكبرين للمستضعفين .

العولمة في أجلى صورها اليوم تعني (تغريب العالم) أو بعبارة أخرى (أمركة العالم). إنها اسم مهذب للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة ليمارس عهدا جديدا من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف (العولمة) .

إنها تعني فرض الهيمنة الأمريكية على العالم، وأي دولة تتمرد أو تتشز، لا بد أن تؤدب بالحصار أو التهديد العسكري أو الضرب المباشر، كما حدث مع العراق والسودان وايران وليبيا (وفلسطين) .

وكذلك تعني فرض السياسات الاقتصادية التي تريدها أمريكا عن طريق المنظمات العالمية التي تتحكم فيها إلى حد كبير، مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيرها كما تعني فرض ثقافتها الخاصة التي تقوم على فلسفة المادية والنفعية وتبرير الحرية إلى حد الإباحية، وتستخدم أجهزة الأمم المتحدة لتمرير ذلك في المؤتمرات العالمية، وتسوق الشعوب إلى الموافقة على ذلك بسياط التخويف والتهديد، أو ببوارق الوعود والإغراء"[1] .

٣ – تربية الجيل الجديد بصفة خاصة على التمسك بالقيم الدينية الأصيلة والموروثات الثقافية الهادفة، وعلى ما يحقق التوازن في نفوسهم بين الاستفادة من هذا المد الغربي وبين قيمنا الإسلامية السامية دون أن نغلق أعينهم من الثورة المعلوماتية ونصم آذانهم عنها. فإنه من المستحيل في هذا العصر أن نحجبها عنهم أو نحجبهم عنها، فواجبنا تجاه النشء يحتم علينا أن نكون فيهم الشخصية القوية المنتمية إلى دينها وننمي فيهم ملكة الاختيار والانتقاء .

ولتحقيق الغرض المطلوب لا بد من وضع استراتيجية تتعاون وتتعاضد فيها الأسرة والمؤسسات التعليمية والوسائل الإعلامية المختلفة في توحيد أساليب التربية والتنشئة للأطفال .

فبهذه الطريقة المتكاملة نستطيع أن نحمي أفكارهم من التشتت والتخبط وسلوكهم من الانحراف والاعوجاج، ونمكنهم من الدخول في عصر التكنولوجيا مسلحين بعقائدنا الصافية وتقاليدنا الراقية، ونحول دون خطورة البث الثقافي المنافي لأخلاقنا ومبادئنا من خلال القنوات الفضائية و شبكات الانترنت و وسائل الاتصال الحديثة [2] .

---

1 - أ.د. يوسف القرضاوي/ موقع بلاغ تحت عنوان مفهوم العولمة و ماذا تعني؟.

2 - باختصار و تصرف من مقال الشيخ شريف عبد الله شريف الواعظ بأكاديمية الشارقة للعلوم الشرطية المنشور في جريدة الخليج في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٩/٩/ ٢٠٠٠م.

٤ – تفعيل دور الإعلام الإسلامي في مواجهة خطر العولمة، فالإعلام الإسلامي يتحمل مسؤولية كبيرة نحو مواجهة هذه الثقافات الواردة إلينا. ويمكن له أن يؤدي مسؤوليته بكشف ما تحتوي عليه المنتجات الإعلامية والثقافات الوافدة من أسباب الزيغ والفساد ومواد الشذوذ والانحراف ومحتويات التضليل والتشويه من جهة، والعمل على تطوير إمكاناته ليتمكن من إنتاج ما يشبع رغبات المشاهد المسلم ويسد حاجاته من البرامج الهادفة، ويقدمه في أسلوب راق جذاب، كما يهتم بأن تكون التغطيات الإخبارية العالمية متسمة بالموضوعية والوضوح والتحليل الدقيق الذي يوحي بالرسالة التي يريد إيصالها من جهة أخرى .

وإذا كان الغرب يستخدم تقدمه وحضارته في الترويج لأفكاره ومعتقداته وتشويه ديننا والتهجم عليه وتشهيرنا بالإرهاب والعنف بشتى الوسائل الإعلامية، فإذا كان هذا حال أعدائنا، فإن واجبنا يحتم علينا أن نسخر ونستخدم نفس الأدوات للرد على شبهاتهم ودحض افتراءاتهم .

وأكثر من هذا يجب أن لا نكتفي بدور رد الفعل بل نبادر ونقدم ديننا الحنيف في صورته الصحيحة بعيدة عن الإفراط والتفريط .

ومما يبعث على التفاؤل أن الغرب لا يخلو من أصوات عاقلة من المفكرين والمنصفين، ترى ضرورة الحوار البناء الذي يركز على القيم الإنسانية العليا، ويؤكد على حق الإنسان في السلام النفسي والاجتماعي والحياة الإنسانية الكريمة والسعي إلى سعادة البشرية .

خلاصة القول:

نستطيع أن نستفيد من إيجابيات العولمة ونقاوم آثارها السلبية ونحافظ على هويتنا الإسلامية مستندين إلى عقيدتنا السمحة وتعاليم شريعتنا الغراء، وذلك بالتعامل الجاد مع التقدم العلمي التقني ومعطيات العصر، والعمل الدؤوب على اكتساب المعلومات والمعارف والخبرات والمهارات، مع تنشيط التفاعل المثمر والحوار البناء مع ثقافات الأمم الأخرى .

وفي نفس الوقت نستخدم كافة الوسائل والأساليب والطرق المتاحة في تأصيل القيم الأصيلة في النفوس، وتنمية ملكة التمييز بين الطيب المطلوب والخبيث المرذول، وإبراز إيجابيات الإسلام وعالميته، وعدالته، وحضارته، وثقافته، وتاريخه للمسلمين وغيرهم، ليعتز ويفتخر المسلمون بهويتهم، ويعتبر ويحتذي به الآخرون .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

★★★

الدعوة الإسلامية :

تزكية النفس: منطلقاتها وأبعادها

د/جمال الدين الفاروقي ويناد، كيرالا (الهند)

كل شيء في الكون يحتاج إلى عملية تنقية وتصفية، ولا يمكن استخدامه إلا بعد هذه العملية بصورة منتظمة، المواد الغذائية والملابس والأدوية والنفط وأدوات البناء وما إلى ذلك مما يوجد في بطن الأرض أو على ظهرها والتي نسميها المواد الخام، تتعرض لهذه العمليات مرارا وتكرارا حتى تصير نافعة مفيدة لصاحبها وللآخرين، وهذه العملية تميز حسنها من رديئها، وأجودها من أرذلها، وسمنها من سمها.

ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى المرء الذي يجب عليه أن يتنقى ويتصفى ويتطهر لتكون حياته فوق الأرض هادئة سليمة مطمئنة وليعود إليه ثوابها في الحياة اللانهائية بعد الموت.

ولذلك أولى الإسلام بالغ الاهتمام بتزكية النفس، وذلك بتطهيرها بالإيمان الذي يستطيع هو وحده أن يغسل عنه كل الأدناس والأرجاس، والإيمان في الإنسان على مراحل، ومجرد النطق به لا يفيد شيئا، وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس زعموا أنهم مؤمنون بمعنى أنهم كانوا ينتمون إلى طبقة المؤمنين في المجتمع، ولكن الله أبطل مزاعمهم قائلا:{قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}[الحجرات: ١٤].

والآية تشير إلى الركيزة الأساسية لتزكية القلوب ومحلها القلب بالذات، والإيمان إذا لم يكن يصدر من صميم القلب فإنه لا يفيد صاحبه ولا الآخرين، ويصير إيمان نفاق ورياء، كما صرح بذلك الصحابي الشهير أبو هريرة رضي الله عنه وهو يقول: "القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده".

والرعيل الأول من هذه الأمة استطاعوا أن يأتوا بالعجائب وصنعوا تاريخا جديدا، رغم أنهم كانوا لم يملكوا من التسهيلات المادية بقدر ما اكتسبنا، إلا أن قوتهم الإيمانية كانت فوق كل العدد والعتاد، فتحوا النفوس والبلاد وتجشموا المتاعب واقتحموا العقبات بهذا الإيمان الذي استقر في قلوبهم

وتمثل تماماً في عباداتهم وتصرفاتهم، وبهذه القوة الإيمانية ينبغي أن يستطيع المؤمن إصلاح باطنه الذي هو منبع التزكية، ويجب أن يكون التقوى عاملا ومحركا وراء كل هذا.

التزكية في المنظور القرآني :

ويجدر بنا أن نستعرض الآيات القرآنية التي جاءت في تزكية النفس، والهدف الهام من البعثة المحمدية، هو تزكية الأمة وقيادتهم إلى المثل الأعلى الذي يتمثل في العقيدة والعبادات والتصرفات، وقد قام به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حق قيام، وكانت تلك الأيام في غاية الانحطاط الخلقي والفوضى الجنسي، قلما نجد مثيله في العصور المتقدمة، إلا أنه عليه السلام استطاع أن يحول تلك الأمم إلى أمة مثالية في العالم، سكت أمامهم العرب وبهت أمامهم ملوك العجم، وما ذلك إلا الفيض الإلهي الذي أودعه في ضميرهم والذي به تثقفوا وتمحصوا. والقرآن يشير إلى هذه المكرمة الإلهية:{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[سورة الجمعة:٢].

والتزكية منة من الله يؤتيها من يشاء، وعلى من يريد أن ينالها التقرب والتضرع والإنابة إلى الله وإيثار مرضاته على الملذات الذاتية، والله يقول:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} [النساء:٤٩].

ويؤكد القرآن هذه الحقيقة مرة أخرى حيث يقول تعالى:{وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة النور:٢١]، ورد ذكر هذه الآية في سياق حديث الإفك الذي قام به جماعة من الناس على زوجته (أم المؤمنين) عائشة رضي الله عنها. ومثل هذه الافتراءات لا يستسيغه المؤمن الذي يخاف الله سرا وعلانية، وهو يعتقد أن زلات لسانه وهفوات كلامه ستصيب الآخرين، وهي تجرحهم وتنال من عرضهم، وهي أشد وقعا في نفوسهم من السهم والرماح، وإنما يتسارع وراءها من يتلذذ ويتمتع بالقيل والقال مما يفقدون به تزكيتهم التي نالوها من العبادات والحسنات، وجنايات اللسان ستؤدي إلى فقدان الورع والتقوى كما يتجسد ذلك في قول عمر رضي الله عنه حيث يقول:"من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه".

وفي سياق آخر ينبه الله الإنسان ويأمره بالتسلح بالتزكية متذكراً المراحل التي مرّ بها في حياته، وهو يقول:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ

الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[سورة النجم:٣٢] . والتزكية بجانب هذا تتوقف على سلوك الإنسان المادي وإذا كان منهكماً في شهواته مستكثراً من طيبات الدنيا ورفاهيتها، فإن التزكية الحقيقية تحرم عليه. وأيسر الطريق للحفاظ عليها والاستزادة منها هو الزهد في الحياة، وليس معناه التقشف وترك الدنيا واللجوء إلى الغابات، بل قصر الأمل وإيثار الآخرة، والله يقول:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ❖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ❖ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ❖ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[الأعلى:١٤- ١٧] .

إن المداومة على الصلاة تولد في المسلم ذكر الله، ويشعر بحرارة الإيمان في كل حركاته وسكناته، ولا يجترئ على العصيان والطغيان، كما أنها تساعده على إدارة الأوقات التي هي من المواضيع الرئيسية تهتم بها الدراسات المعاصرة. فالمسلم الذي على وعي دائم بإقامة الصلوات في موعده ينظم سائر أشغاله بحيث لا تكون عائقاً لأداء الصلوات وهذا الشعور يجعله ينظم كل ساعاته وأيامه فتنتظم معه الحياة كلها كما أن الصلاة تبعده عن المنكرات، يشهد بذلك القرآن :{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}[سورة العنكبوت: ٤٥] .

والصلاة تساعده على البقاء في ذكر الله في كل لحظاته، وهذا الذكر يعمل في القلب ويجعله نشيطاً ويعمل في العقل فيجعله يقظاً ويعمل في الجوارح فيجعلها متحركة مستقيمة، وقد جاء في الآثار أهمية ذكر الله: "اثنان لا تنساهما": "ذكر الله والموت" وإذا نسي الإنسان ذكرالله ستكون حياته كلها شقاءً وعذاباً، وإذا نسي الموت فإن ما بعد الموت أدهى وأمر.

وقد جاء في روايات الإمام مالك رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:"ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله" .

الحذر من المنكرات

والتزكية كذلك تتطلب من المؤمن أن يكون ذا حذر وحيطة من أن يقع في المنكرات والفواحش، ولإيقاعه فيها ينصب الشيطان له الحبائل، والقرآن يحذر نا قائلاً: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ}[سورة الأعراف: ٢٧]. ولا مناص للمؤمن للتخلص من مكر الشيطان وكيده إلا المراقبة والمداومة على الأعمال ومحاسبة نفسه دوما، بل قد يكون المؤمن مندفعاً إلى العبادات والصالحات بحرارة إيمانه وإيثاره ثواب الله، ولكنه في نفس الوقت يفشل أمام الشيطانيات فيندفع إليها متأثراً بظروف حياته أو متطلعاً إلى الفوائد المادية الفانية. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:"ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهم، فلا تعتدوا بشيء من عمله، تقوى تحجزه عن

معاصي الله، وحلم يكف به السفيه، وخلق يعيش به في الناس".

وهذا هو المقياس الصحيح الذي نقيس به مدى التزكية التي حصلناها، وأمام كل واحد من هذه الثلاثة يبتلي المؤمن في إيمانه وتقواه، وكم من مسلم يصلي الخمس ويصوم رمضان ويحج البيت ويزكي عن ماله، ثم هو يتسلل إلى المعاصي في ظلمة الليل بل في بياض النهار، أو حين يكون في خلوة من الآخرين، والتقوى التي تمنعه عن هذه المعاصي ينبغي أن يكون أضعافاً مضاعفة من التقوى التي يحتاج إليها لإقامة الصلاة وصوم رمضان . كما أن التزكية يجب أن تتمثل في أخلاق المؤمن وتصرفاته مع الآخرين، وهي المجال الوحيد الذي تظهر ملامح التزكية، والرجل الذي يصلي أو يصوم ، لو إذا نظرنا إليه لا ندرك من تقواه ولا من تزكيته شيئاً، بينما لو إذا أصغينا إلى مجرد كلمة يلفظها هو، يكفي ذلك دليلاً على تزكيته النفسية، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يفرقون بين الصغائر والكبائر، وهذا أنس رضي الله تعالى عنه يقول فيما يرويه الإمام البخاري:"إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات".

وهذه الصغائر تصير ذنوباً إذا استمر عليها الإنسان، وتغلق قلبه وتختمه بحيث لا يدخل فيه المواعظ والإرشاد فيصير منكراً لكل الحسنات، ومقبلاً على كل السيئات وهي الحالة المخيفة التي يشير إليها القرآن الكريم حيث يقول تعالى: {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[سورة المطففين:١٤] .

والاستزادة من الأعمال الصالحات تضمن للمؤمن استمرارية التزكية، فهي تصقل ضميره، وتزيد من رونق شخصيته كما تقربه إلى الله وإلى العباد.

وقد ذكر الإمام ابن القيم ما يحتاج إليه المؤمن للاحتفاظ بتزكيته النفسية :

"أنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه، فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من نفسك، فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي لا تبتعد أو تقترب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك في قربه ورضاه عنك إلا بها، وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك، ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئا خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك .

ونظراً لأهمية استمرار التزكية في الحياة، كان النبي صلى الله عليه وسلم دائماً يدعو بهذه الكلمات: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها وأنت وليها ومولاها»

الجاهلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

(الحلقة الأولى)

الأستاذ محمد مبين سليم الندوي الأزهري

قال الله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [البقرة:١٦٤] .

إن هذه الآية الكريمة لتصور حياة الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم خير تصوير وتبين منة الله على جميع الناس، ببعثة هذا النبي الأمي والرحمة المهداة .

ولأجل هذه الجاهلية الخطيرة مقت الله سبحانه وتعالى العرب والعجم إلا بقايا من أهل الكتاب فعن عياض بن حمار المجاشي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته:"... إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب..."[1].

وقال ابن كثير رحمه الله:"المقصود أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان، والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عمّ جميع البلاد، والطغيان، والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين" [2] .

انظر إلى أحاسيس الصحابي الجليل المقداد بن الأسود رضي الله عنه ومشاعره عن تلك الجاهلية والضلالة المنتشرة بين أهلها في العقائد وغيرها، فعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه، قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود رضي

---

1 - صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ مع شرحه المسمى بالمنهاج، للإمام محي الدين النووي، المتوفى ٦٧٨هـ (بتحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، ج/١٧ ص: ١٩٤- ١٩٦، رقم الحديث: ٧١٣٦، واللفظ له، كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ومسند أحمد، ج/١٣ ص:٣٧٨، رقم الحديث: ١٧٤١٤(تحقيق حمزة أحمد الزين، ودار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

2 - تفسير ابن كثير، ج/ ٤ جزء : ٨، ص: ٥٦ (مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد) .

الله عنه يوماً، فمرّ به رجل، فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه، فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدقوه، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم تعرفون ربكم، مصدقين لماجاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم، قد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على أشد حال، بعث عليه نبي من الأنبياء، وفترة وجاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى ولده أو والده أو أخاه كافراً، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه، وهو يعلم أن حبيبه في النار" [1] .

وهذا هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يعبر عن نعمة الخير والإسلام الذي أنعم الله عليهم بعد أن كانوا في جاهلية وشر فيقول : يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرٍ فجاءَنا الله بهذا الخيْرِ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شر"[2] .

---

1 - صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤هـ بترتيب الإمام علاء الدين بن بلبان ت ٧٣٩هـ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط؟ ط : مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) ج/٢، ص: ٤٨٩-٤٩٠، رقم الحديث: ٦٥٥٢، واللفظ له، كتاب التاريخ، باب تبليغه صلى الله عليه وسلم الرسالة، وما لقي من قومه، وقال محققه : إسناده صحيح على شرط مسلم، والمسند للإمام أحمد بن حنبل، (وتحقيق أحمد محمد شاكر، من المجلد الأول إلى المجلد الثامن، وتحقيق: حمزة أحمد الزين، من المجلد التاسع إلى آخر المسند، ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ج/٦، ص: ٢- ٣، والأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦ هـ ص: ٣٣ رقم الحديث: ٨٧، باب الولد قرة العين، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ) والمعجم الكبير لأبي القاسم سليمان ابن أحمد الطبراني، (تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الجمهورية العراقية، دهوك/ بغداد الطبعة الثانية، ومعلومات النشر الأخرى غير متوفرة) ج:٢٠، ص:٢٥٣- ٢٥٤، رقم الحديث ٦٠٠، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ت ٤٣٠هـ (مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) ج/١، ص: ١٧٥ - ١٧٦، وأورده ابن كثير في تفسيره، ج/٣، جزء ٦، ص: ٨٤، وقال : هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

2 - صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ مع شرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر، بتحقيق: محب الدين الخطيب، وترقيم: فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، ودار الريان، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ، ج/١٣، ص: ٣٨ رقم الحديث: ٧٠٨٤، واللفظ له، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

ومن هنا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قام فعلاً ـ امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى وأداء لوظيفته التي أنيطت به ـ بجهود جبارة في سبيل نشر العلم الذي جاء به من عند الله تعالى، ومحو الجاهلية التي كانت منتشرة على وجه المعمورة بأشكالها وأنواعها ونظمها المتعددة، وقد نجح هذا الرسول الكريم الأمي نجاحاً باهراً في هذا الشأن، لم يوجد نظيره، في تاريخ التغيير الديني والسياسي، والاجتماعي، والإداري، والانقلاب العلمي، وقد تحقق فعلاً المنهج النبوي في الواقع الملموس، وظهرت آثاره عالمياً، ولم تتوقف هذه الحركة العلمية الواسعة بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بل حملت عنه هذه الأمانة العلمية والدعوية التي اهتمت بكل مجالات الحياة، جماعة من الصحابة التي تربت على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، وفق منهج رباني عظيم، وتتجلى معالم الدعوة العالمية بكل ثقة و وضوح، من سفير الجيش الإسلامي بمعركة القادسية ربعي بن عامر أمام رستم قاد الفرس قولاً وفعلاً، عندما دخل عليه"وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس، وفرس قصير، كان راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعت. فقال رستم : ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نُفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي"[1].

ولكي نكون على بينة من الجهود الجبارة الضخمة التي بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم في التغيير الديني والإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والانقلاب العلمي العملاق ونجاحه الباهر الملموس، لا بد أن نعرف الجاهلية وضخامتها قبل مبعث النبي صلى الله عليه

[1] - البداية والنهاية لابن كثير، ج/٧ ص: ٤٤، فصل في غزوة القادسية، واللفظ له، (دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ /١٩٣٣م) والكامل في التاريخ لابن الأثير ج/٢، ص: ٤٦٢، القادسية العظمى (دار صادر دار بيروت، بيروت ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م).

وسلم، إذن فما هي الجاهلية وما مدلولاتها ومظاهرها؟ وما هي الأمية العربية، وما المقصود منها؟ هذا.

والجدير بالذكر أن مدلول الجاهلية يتضح جلياً بعد دراستها حسب الخطة التالية:

- الجاهلية في القرآن الكريم .
- الجاهلية في الأحاديث النبوية الشريفة .
- معنى الجاهلية لغة واصطلاحاً .
- شمولية الجاهلية العربية .
- سبب الجاهلية .
- أمية العرب وعلاقاتها بالجاهلية العربية .
- هل الأمية عيب؟ وهل هي بمعنى الجاهلية ؟
- لماذا قيل للعرب في العصر الجاهلي"أميون"؟
- لماذا وصف العرب بعد الإيمان بالأمية؟

***الجاهلية في القرآن الكريم**

إن كلمة "الجاهلية" قد وردت في القرآن الكريم أربع مرات، وهي كما يلي:

قال الله تعالى:

١- ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران::١٥٤].

٢- ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٩].

٣- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [سورة الأحزاب:٣٤].

٤- ﴿إِذْ جَعَلَ الذِينَ كفرُوا فِي قلوبهمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:٢٦].

أما كلمة الجهل ومشتقاتها، ـ غير ما سبقت ـ فقد جاءت في القرآن الكريم عشرين مرة ([1]).

***الجاهلية في الأحاديث النبوية الشريفة**

إن كلمة الجاهلية وردت في كتب الأحاديث بكثرة، ونكتفي هنا بإيراد بعض الأمثلة منها كالتالي:

- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ

[1] - يراجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ص:٢٢٥، ٢٢٦ مادة جهل، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

بالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ» (1).

- عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» (2).
- وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ وَصِلَةِ رَحِمٍ فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ» (3).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْجَدْرِ، أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ! قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: "إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمْ النَّفَقَةُ" قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ» (4).

معنى الجاهلية لغة واصطلاحا

- **معنى الجاهلية في اللغة:**

الجاهلية من الجهل ومعناه كما يلي :

قال ابن فارس(الجهل) "الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خلاف العلم، والآخر الخفة وخلاف الطمأنينة"(5).

وقال الراغب الأصفهاني:"الجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: خلو النفس من العلم .

والثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه .

والثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقده اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً (6) .

---

1 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١، ص:٣٠، رقم الحديث:٣، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2 - صحيح البخاري (الفتح) ج/٣، ص:١٩٥، رقم الحديث:١٢٩٤، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب.

3 - صحيح البخاري (الفتح) ج/٣، ص:٣٥٤، رقم الحديث:١٤٣٦، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم .

4 - صحيح البخاري (الفتح) ج/٣، ص:٥١٣. ٥١٤، رقم الحديث:١٥٨٤، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها.

5 - معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى ٣٩٥هـ ج/ ٢، ص:٤٨٩ (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ).

6 - المفردات للراغب الأصفهاني، ص:١٠٢، (تحقيق محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م) وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين

وحدد الإمام ابن الأثير معنى كلمة الجاهلية في الأحاديث الشريفة بقوله: "وقد تكرر ذكرها في الأحاديث وهي: الحال التي كانت عليه العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك (1).

- **معنى الجاهلية في الاصطلاح :**

عرف الدكتور عبد الستار فتح الله مصطلح الجاهلية بقوله:

"هي مصطلح إسلامي، لم يعرف استعماله قبل نزول القرآن.... ويظهر من ضم النصوص الأربعة بعضها إلى بعض، أن القرآن الكريم قصد بهذا اللفظ مذهب الجاهلية، بمعناها الكلي، أعني خط الحياة الشامل، المضاد لخط الله تعالى ومنهاجه بكل ما يمثله من عقائد وعبادات وأخلاق، وسلوك، وشرائع، وأحكام، ونظام، وسلطان(2)، وأضاف قائلا: "وهي كلمة مختارة بدقة لسعة دلالتها على كل مخالفة لدين الله تعالى، وعلى اتصاف صاحبها بالجهل، فهي وصف ذم باطراد، والمدار في إطلاقها هو: تحقق معناها وأوصافها في كل زمان ومكان وأمة، وليست خاصة بزمن معين، ولذلك تستعمل عند الشرع بحالين: الأولى: الحال التي تكون فيها المخالفات جزئية في بدايتها، لكنها تأخذ صفة الشيوع والظهور والثبات، فتخص هذه الأمور بوصف (الجاهلية) لمشابهتها عقائد أو أفعال أهلها، فيقال: رجل فيه جاهلية، وهذا نعي الجاهلية، ودعوى الجاهلية، وتبرج الجاهلية، وغير ذلك مما يحقق فيه الوصف .

الثانية: الحال التي فيهامخالفة الدين، ويغطي الانحراف كل جوانب الحياة من غير نظر إلى مرحلة بعينها، ولذلك تطلق على حال البشر في عهد نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وعلى كل مرحلة تشابهها لتحقق مدلولها في الجميع، وهذه هي الجاهلية الكلية سواء كانت تدعى الانتساب إلى دين إلهي مع شركها كالجاهلية العربية، أو تخترع آلهة من دون الله، كالفراعنة والرومان واليونان، أو تلحد إلحاداً كاملا كالقائلين بالطبيعة ومنكري وجود الله تعالى جملة" (3) .

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفى ٨١٧هـ تحقيق: الأستاذ عبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ) ج/٢، ص:٢١٥.

1- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ج/١، ص: ١٩٢(المطبعة العثمانية بسوق الزلط من مصر المعزية ١٣١١هـ) .

2 - المنهاج القرآني في التشريع للدكتور عبد الستار فتح الله، ص:١٨١ (الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ومعلومات النشر الأخرى غير متوافرة).

3 - المنهاج القرآني في التشريع للدكتور عبد الستار فتح الله، ص:١٤٤. ١٤٥ .

الإسلام هو الخط الفارق بين عصرين وبين منهجين :

أما العصران : فهما عصر ما قبل الإسلام، وسمّاه المنهج النبوي بالجاهلية. وعصر ما بعد الإسلام، وهو عصر العلم والمعرفة، وسماه المنهج النبوي بعصر الإسلام، فمن تمسك بالمنهج النبوي في هذا العصر فهو الفائز، ومن لم يتمسك به، فقد خسر ثم ضل وغوى، كما يتبين بوضوح من قول المقداد بن الأسود رضي الله عنه المذكور في السطور السابقة .

أما المنهجان:

فهما : المنهج الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله في كل شؤون الحياة وأحوال ما بعد الممات . من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات وآداب ونظم سياسية واجتماعية ودينية وعلمية وأدبية وفنية واقتصادية وتعليمية.

والمنهج المضاد له

وقد ظهر هذا المفهوم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما برزت آثاره في عصر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فالمنهج النبوي الشريف الذي لم يهتم بعصر دون عصر، وإنما قدم منهجية لكل العصور والأزمان، فالحكم على صحة الشيىء أو خطئه، هو بموافقته أو بمخالفته لهذا المنهج الإسلامي القويم، وليس باختلاف الزمان أو المكان، وهذه باقة من الأحاديث النبوية التي تصرح صراحة واضحة صحة التصور المذكور وهي كما يلي :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» [1] .

يستفاد من الحديث الشريف أن الصحابة رضي الله عنهم خاضوا في مسألة من يدخل الجنة بغير حساب وأفاضوا، وبدأ الحوار بينهم في ذلك الأمر، ولكن جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وحسم تلك المسألة قائلا: "هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون"، الخ، وهذا هو الفيصل بين منهج الجاهلية ومنهج الإسلام، فليس الحكم بمجرد الولادة في هذا العصر أو ذاك، إنما هو باتباع المنهج النبوي في جميع الأمور كما صرح النبي صلى الله عليه وسلم .

---

1 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١٠، ص: ١٦٣ـ ١٦٤، رقم الحديث:٥٧٠٥، واللفظ له، كتاب الطب، باب من اكتوى .

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَبِثْتُ سَنَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلْتُ أَهَابُهُ فَنَزَلَ يَوْمًا مَنْزِلاً فَدَخَلَ الأَرَاكَ فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلْتُهُ فَقَالَ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ ثُمَّ قَالَ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لاَ نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًا مِنْ غَيْرِ أَنْ نُدْخِلَهُنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا» [1] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ قَالَ أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا» [2] .

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: «أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلاَمِ لم يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلاَمِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ» [3] .

إن في هذه الأحاديث دلالة صريحة على أن من اتبع المنهج النبوي المتمثل في طاعة الله ورسوله، هو الفائز ومن لم يلتزم به فهو الخاسر، أما من آمن وأحسن في الإسلام، فقد نال خير الإسلام، ولم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في عصر الإسلام أخذ بالأول والآخر .

ثم إن استخدام كلمة الجاهلية قد تنوع في النصوص الإسلامية والتاريخية حتى كثر استعمالها في المجالات المتعددة، منها ما يتعلق بمجرد عصر ما قبل الإسلام بغض النظر عن صفة الخير أو الشر، أو بمنهج دون منهج، كما يظهر من حديث عائشة رضي الله عنها في كيفية بدء الوحي [4]، وحكيم بن حزام رضي الله عنه في السؤال عن عاقبة أعمال حسنة عملها في عصر ما قبل الإسلام، وسمّاه بالجاهلية [5]، و رواية عائشة في السؤال عن بناء الكعبة من جديد [6]. وهنالك أحاديث كثيرة في هذه المسألة، ولا يستطيع الباحث أن يورد كلها في هذا البحث،

---

1 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١٠، ص:٣١٤، رقم الحديث:٥٨٤٣، كتاب اللباس، باب من كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس .

2 - صحيح البخاري (الفتح) ج/٨، ص:٢١٢، رقم الحديث:٤٦٨٩، واللفظ له، كتاب التفسير، باب {لقد كان في يوسف}.

3 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١٢، ص:٢٧٧، رقم الحديث:٦٩٢١، واللفظ له، كتاب استتابة المرتدين، باب اسم من أشرك بالله.

4 - تقدم في الصفحات الماضية .

5 - تقدم في الصفحات الماضية .

6 - تقدم في الصفحات الماضية .

لكي لا يطول المقام وتخرج الدراسة عن هدفها، وبناء عليه نكتفي بإيراد بعض الشواهد اللازمة على النحو التالي :

حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال يا هني اضمم جناحك عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة وإياي ونعم بن عوف ونعم بن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع وإن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتني ببنيه فيقول يا أمير المؤمنين ؟ أفتاركهم أنا لا أبا لك فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق وايم الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم إنها لبلادهم فقاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام"[1] .

عن يحيى حدثنا أبو سلمة حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: أنه عام فتح مكة قتلت خزاعة رجلا من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية[2] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام ؟. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (أوف نذرك) [3] .

وعلى هذا المعنى ترجمت كلمة الجاهلية في القواميس الإنجليزية إلى:"
pre_islam,pre Islamic epoch, pre Islamic times [4]

ومنها ما يتعلق بالأعمال والعقائد ومناهج الحياة ونظم الاجتماع التي أبطلها الإسلام وصحح مفاهيمها وعدلها من شر إلى خير، قال الإمام الشاطبي: "اعلم أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق، واتصاف بمحاسن شيم، فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل، وبينت منافع ما ينفع من ذلك ومضار ما يضر منه" [5]. ومن هذا القبيل كلما يقوم الإنسان بفعل شيء يخالف الإسلام يقال إنه من أعمال الجاهلية السيئة

---

1 - صحيح البخاري (الفتح) ج/٦، ص:٢٠٣، رقم الحديث:٣٠٥٩، واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب .

2 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١٢، ص:٢١٣، رقم الحديث:٦٨٨٠، واللفظ له، كتاب الديات، باب من قتل له قتيل.

3 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١١، ص:٥٩٠، رقم الحديث:٦٦٩٧، واللفظ له، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا نذر أو حلف لا يكلم .

4 - المورد للدكتور روحي البعلبكي ص:٤٠٩ (دار العلم للملايين، الطبعة السادسة عشرة ٢٠٠٢م .

5 - الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، ج/٢ ص:٦٩ (تعليق الشيخ عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى بمصر).

والشريرة حسب مستويات الشر في باب العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والمناهج والآداب وغيرها، بغض النظر عن عصر دون عصر، وتعتبر المخالفة لمنهج الله في هذه الأشياء من المعاصي ولا يكفر صاحبها إلا بالشرك كما قال الإمام البخاري في صحيحه [1]: «بَابُ الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلاَّ بِالشِّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» [2] وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء، الآية: ٤٨].

وهذا المعنى يظهر جليا من الآيات القرآنية الأربع المذكورة [3].

وحديث عبد الله المذكور في النهي عن لطم الخدود وشق الجيوب [4] وإن كتب الأحاديث النبوية الشريفة لغنية جدا بمثل هذه الشواهد التي تدل على هذه القضية المشار إليها في السطور السابقة، وإليكم طرفا منها على سبيل المثال على النحو التالي :

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاَثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ [5].
- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [6].
- حَدَّثَنَا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا فِي غَزَاةٍ قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» [7].

---

1 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١، ص: ١٠٦، كتاب الإيمان .

2 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١، ص:١٠٦، رقم الحديث:٣٠، واللفظ له، كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية .

3 - تقدمت في الصفحات الماضية .

4 - تقدمت في الصفحات الماضية .

5 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١٢، ص:٢١٩، رقم الحديث:٦٨٨٢، واللفظ له، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق .

6 - صحيح البخاري (الفتح) ج/١٣، ص:٧، رقم الحديث:٧٠٥٣، واللفظ له، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"سترون بعدي".

7 - صحيح البخاري (الفتح) ج/٨، ص:٥١٦ـ ٥١٧، رقم الحديث:٤٩٠٥، واللفظ له، كتاب التفسير باب قوله {سواء استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم} .

فهم الصحابة رضي الله عنهم المراد من كتاب الله ومدى استجابتهم لتعاليمه

الأستاذ عبدالودود الندوي
المجمع العلمي للدراسات في علوم القرآن والسنة بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ(الهند)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، أما بعد!

فلاريب أن الطائفة المباركة الكريمة التي وجدت زمن نزول الوحي، وزمن من نزل عليه الوحي، وعاصرت خير من فسر وطبق الوحي وهو خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه أعرف بمقصود كتاب الله ومراده، وتفسير ما جاء به .

ولا شك أيضاً أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا على درجة واحدة في فهم مقصود القرآن الكريم، كمالم يكونوا كذلك على درجة واحدة في تلقيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن بعضهم تلقاه منه مباشرة، وبعضهم تلقاه عن طريق غيره من الصحابة.

قال السيوطي:"اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة ([1]).

والمتأمل فيما نقل عن الصحابة من تفاسير لآيات قرآنية يجد أن مصادر تفسيرهم كانت تعتمد على القرآن أولاً :

ففيه آيات وردت على سبيل الإجمال، وفيه آيات جاءت مفصلة لذلك الإجمال، ومن الأمثلة الواردة عنهم في تفسير القرآن بالقرآن ما يلي:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى:{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير:٧].

قال تزويجها: أن يؤلف كل قوم إلى شبهه، وقال :{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصافات:٢٢] ([2]).

1 - الإتقان للسيوطي (النوع الثمانون) ج/٢، ص: ٤١٢.
2 - الدر المنثور ج/٨، ص: ٤٣٠

فإن لم يجدوا تفسير آية في القرآن رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلبم أو إلى ما نقل عنه، لأنه صلى الله عليه وسلم من وظيفته البيان والتبيان، كما قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:٤٤]..

ومن أمثلته: ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم:{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} ([1]).

فنلاحظ أن أبا هريرة نزل الحديث على معنى الآية، فجعل اجتماع الملائكة هو الشهود الذي يحصل في صلاة الفجر .

ثم إضافة لما تقدم كان من مصادر التفسير عند الصحابة بعض أقوال أهل الكتاب، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسألون بعض علماء أهل الكتاب، الذين أنعم الله عليهم ودخلوا في الإسلام، كـ "عبد الله بن سلام" و"كعب الأحبار"، وغيرهما بيد أن رجوع بعض الصحابة إلى أقوال أهل الكتاب لم يكن من الأهمية في تفسير كتاب الله ما كان للمصادر السابقة من أهمية، وإنما كان مصدراً ثانوياً ليس إلا .

والذي يعنينا من كل ما سبق أن تفسير الصحابة للقرآن له أهمية بالغة في فهم المراد من كتاب الله عز وجل: لأنهم أقرب الناس عهداً بنزول الوحي، وأقرب الناس إلى من نزل الوحي عليه، حتى إن بعض أهل العلم رأى أن تفسير الصحابة له حكم الحديث المرفوع، أي كأنه من تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا القول وإن كان لا يخلو من مبالغة ظاهرة، إلا أن فيه ما يدل على أهمية تفسير الصحابة، ومكانته في تفهم المراد من كتاب الله .

أريد هنا أن أقدم عدة نماذج لمواقف الصحابة رضي الله عنهم التي تفيدنا بمدى اهتمامهم بآيات القرآن وسرعة استجابتهم لتعاليمه، ولا أدعى الحصر والاستيعاب في سرد هذه المواقف .

الموقف الأول: الحرص على الاستجابة للتعاليم الربانية الواردة في آيات القرآن كما يدل على ذلك موقف أبي طلحة الأنصاري الخلاب رضي الله عنه من هذه الآية {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢] كما في صحيح البخاري بإسناد صحيح "عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة

1 - صحيح البخاري رقم الحديث :٤٤٤٠ باب إن قرآن الفجر كان مشهوداً .

أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين) فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه" (1).

هذا الموقف يدعونا إلى أن نستعرض حالنا مع هذه الآية القرآنية، هل نستطيع أن ننفق أحب أموالنا إلينا في سبيل الله تعالى بعد أن تليت علينا هذه الآية؟

الموقف الثاني: ترك ما نهي الله عنه في كتابه مهما كان حبهم له، نزلت آيات في القرآن الكريم تحرم أموراً، كان الصحابة قد اعتادوا عليها حتى كانت جزءاً من حياتهم من الصعب أن يتركوه، ولكنهم كانوا يتركونه بمجرد حكم تحريم الله له مثال رائع، فأخرج البخاري عن أنس"قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ، فإني لقائم أسقى أبا طلحة، وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل، فقال وهل بلغكم الخبر؟. فقالوا وما ذاك؟ قال حرمت الخمر، قالوا أهرق هذه القلال يا أنس، قال فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل" (2).

ولم يكتفوا بذلك، بل أضافوا على ترك شربها إراقتها في سكك المدينة زيادة في البعد عنها، وحذراً من الوقوع في شربها مرة أخرى، ولم يراجعوا الرسول في ذلك، ولم يتأخروا حتى يتحققوا من خبر التحريم، فكيف بحالنا اليوم، وحال كثير من المسلمين الذين يدعون أنهم مستجيبون لأوامر الله .

الموقف الثالث: كان الصحابة شديدى الحرص على التأدب بآداب القرآن، يقول الزرقاني في: «مناهل العرفان» سمو تربية الصحابة على فضائل الإسلام كلها، وكمال تأدبهم بآداب هذا الدين الحنيف وشدة خوفهم من الله وصفاء نفوسهم إلى حد لا يتفق والكذب خصوصاً الكذب على الله تعالى والتجني على أفضل الخليقة صلوات الله وسلامه عليه (3) .

---

1 - أيضاً باب الزكاة على الأقارب رقم الحديث: ١٣٩٢.
2 - نفس المصدر باب قوله {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} رقم الحديث : ٤٣٤١.
3 - مناهل العرفان ج/١، ص: ٢٢٨.

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبابا، فقال عيينة لابن أخيه يا أين أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه قال: ساستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فو الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحر، يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله"(1).

فهذا الموقف من عمر رضي الله عنه يبين لنا كيف كان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون بآيات القرآن إذا تليت عليهم .

الموقف الرابع: هنا موقف رائع للصحابيات رضي الله عنهن، وهو يدل على قوة إيمانهن، وسرعة استجابتهن لأمر الله سبحانه وتعالى".

عن صفية بن شيبة قالت: بينا نحن"عند عائشة رضي الله عنها قالت: فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها: إن لنساء قريش لفضلا، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان (2) .

ألا يجب أن نستعرض في ضوء هذه المواقف الرائعة أحوالنا في تطبيق أحكام القرآن على حياتنا حتى نكون مسلمين حقيقيين كما كان الصحابة رضي الله عنهم، ونتذوق بحلاوة القرآن، ونتأسى بما فيه من الصفات الحسنة والفضائل الكريمة .

أخيراً أسأل سبحانه وتعالى أن يوقفنا للعمل بالقرآن الكريم، وسنة رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ويجعلهما حجة لنا لا علينا إنه هو السميع العليم .

وصلى الله تعالى على خلقه محمد وإلى آله وصحبه، وبارك وسلم .

---

1 - صحيح البخاري باب {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} رقم الحديث: ٤٣٦٦
2 - تفسير ابن كثير (سورة النور).

(الحلقة الأولى)

الفقه الإسلامي

نظام الميراث في القرآن

الأستاذ محمد عناية الله أسد سبحاني
عميد كلية القرآن بالجامعة الإسلامية شانتابرم، كيرالا

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ❖ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ❖ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ❖ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [سورة النساء: ١١- ١٤].

تحقيق معنى الكلالة:

قبل أن نخوض في تأويل الآيات نود أن نتأكد من معنى لفظ الكلالة، فإنه هو قطب الرحى في تلك الآيات، والخطأ في تأويله قد جرنا إلى أخطاء كثيرة في تأويل الآيات، كما جرنا إلى أخطاء فادحة في مسائل الميراث، فنقول وبالله التوفيق:

قال الشعبي: "الكلالة ما كان سوى الولد والوالد من الورثة أخوة أو غيرهم من العصبة" (١).

وقال الطبري بعد سرد الأقوال الواردة في تأويل الكلالة:

"الصواب من القول في ذلك عندي ما قاله هؤلاء، وهو أن "الكلالة" الذين يرثون الميت، من عدا ولده و والده، وذلك لصحة الخبر الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أنه قال: قلت يا رسول الله؟ إنما يرثني كلالة، فكيف بالميراث ؟...(٢).

وقال القرطبي:

"ذكر الله عزوجل في كتابه الكلالة في موضعين: آخر السورة، وهنا، ولم يذكر في الموضعين وارثا غير الإخوة، فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الأخوة فيها عني بها الاخوة للأم، لقوله تعالى: {فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ "وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّهِ"

ولا خلاف بين أهل العلم أن الاخوة للأب والأم أو الأب ليس ميراثهم كهذا، فدل إجماعهم على أن الاخوة المذكورين في آخر السورة هم إخوة المتوفى لأبيه وأمه أو لأبيه، لقوله عزوجل{وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}[سورة النساء:١٧٦].

ولم يختلفوا أن ميراث الأخوة للأم ليس هكذا، فدلت الآيتان أن الاخوة كلهم جميعا كلالة (٣).

هذا مما قاله القرطبي في تأويل لفظ الكلالة، ونحا الأزهري نفس المنحى في تأويل الكلالة حيث قال:

" ذكر الله الكلالة في سورة النساء في موضعين: أحدهما قوله :{وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ}والموضع الثاني في كتاب الله قوله: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ}[النساء:١٧٦].

فجعل كلالة هنا الأخت للأب والأم، والإخوة للأب والأم، فجعل للأخت الواحدة نصف ما ترك الميت، وللأختين الثلثين، وللإخوة والأخوات جميع المال بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأخ والأخت من الأم في الآية الأولى، الثلث، لكل واحد منهما السدس، فبين بسياق الآيتين أن الكلالة تشتمل على الإخوة للأم مرة، ومرة على الإخوة والأخوات للأم والأب، ودل قول الشاعر على أن الأب ليس بكلالة، وأن سائر الأولياء من العصبة بعد الولد كلالة، وهو قوله :

فإن أبا المرء أحمى له ومولى الكلالة لا يغضب

أراد: أن أبا المرء أغضب له إذا ظلم، وموالي الكلالة، وهم الإخوة والأعمام وبنو الأعمام، وسائر القرابات لا يغضبون للمرء غضب الأب "(٤).

ولا نريد أن نتنفس في سرد الأقوال، فقد ذكرنا من ذكرنا، والذين لم نذكرهم يحومون كلهم حول هذا الرأي، ولا يعدونه إلا قليلا.

والذي نلاحظه فيما كتبوا، أنهم لا يعتمدون في تحقيق معنى الكلالة إلا على أقوال وآثار، رويت لهم، وهم اعتمدوا عليها على الرغم من أنها ما رويت إلا بأسانيد ضعيفة واهية !

وهي لا تصلح أبداً لأن يعتمد عليها في تحقيق معنى الكلالة، ولا تصلح لأن يبني عليها أي حكم من أحكام الشرع، أو أي أمر من أمور العلم.

وستكون لنا وقفة عند بعضها، حتى نكون على بينة من أمرها، ونعرف ما فيها من علات وأسقام.

وكان أولى بالناس أن يرجعوا في هذا الأمر إلى كتاب الله، قبل أن يرجعوا إلى تلك الآثار، أو يرجعوا إلى أي شيء آخر، ولقد وصف لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام ذلك، حيث روي: عن البراء بن عازب: قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: يستفتونك في الكلالة فما الكلالة؟ قال تجزيك آية الصيف (٥). أي والله، كانت تجزيهم آية الصيف، لو أنهم أقاموا عليها، وأنعموا النظر فيها، ولكنهم ما فعلوا ذلك، وتهافتوا على آثار وروايات، لم يتأكدوا من صحتها، ولقفوها قبل أن يعرفوا أمرها، وتهاونوا فيها، وكان الأمر جداً! وكان القرطبي موفقاً جداً، حينما رجع إلى الآيات، وكان أولى بأن يتوصل في معنى الكلالة إلى شيء محكم يوافق سياق القرآن، ولكنه لم يزد على أن ألقي نظرة خاطفة على الآيات، ثم رجع عنها قبل أن يملأ يديه بحقائقها!

والذي حدث مع الأزهري كان شبيها بذلك، حيث رجع إلى الآيات ولم ينعم النظر فيها، وإنما رأي أن القرآن ذكر الكلالة مرتين، وفي كلا الموضعين ذكر الإخوة، فظن، كما ظن القرطبي، أن الإخوة كلهم من الكلالة، سواء كانوا إخوة لأب وأم، أو إخوة لأب، أو إخوة لأم.

والنظرة المتأنية في الآيات تذهب بنا في معنى الكلالة، إلى غير ما ذهبنا إليه وحديث البراء يوصينا بأن نرجع في معنى الكلالة إلى آية الصيف، لا إلى أختها التي وردت في أول السورة، والتي جاء فيها لفظ الكلالة.

فنرى من واجبنا في تحقيق معنى الكلالة، أن نرجع إلى آية الصيف، وها هي ذي:

{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ، [إنها آخر آية من سورة النساء رقمها: ١٧٦، وتُعرف بآية الصيف، لأنها نزلت في فصل الصيف].

معنى الكلالة في ضوء الآية:

فإذا رجعنا إلى تلك الآية، ومكثنا عليها، وتأملنا فيها، وجدنا فيها في أمر الكلالة ما يقنعنا ويشفي أنفسنا وإذا أنعمنا النظر فيها، وجدنا أن الكلالة ليس معنى مفردا، وإنما هي صورة من صور التوريث، أو حالة من

حالات التوريث، فالإخوة لا يسمون كلالة في مصطلح القرآن، ولا غيرهم من الأقارب والأولياء، وإنما الكلالة: أن يموت شخص، وليس له ولد، وإنما له أخت، أو أخوات، أو إخوة لأب وأم، أو لأب، فهذه الصورة المتكاملة من حالة التوريث، هي التي تسمى كلالة.

وإذا كانت هذه الحالة، أو هذه الصورة من التوريث، سدت الأخت مسد البنت، وسد الأخ مسد الابن، وسدت الإخوة مسد الأبناء، وسدت الأخوات مسد البنات، وإذا كانوا إخوة، رجالاً ونساء، فللذكر مثل حظ الأنثيين، مثل ما يكون مع الأولاد تماماً، جمعا وتفريقا.

وأما الإخوة أو الأخوات لأم فهم لم يذكروا في تلك الآية، ولو كانوا من الكلالة، لذكروا فيها، ولم يذكروا منفصلين في آية أخرى حيث قال تعالى:

{وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ}.

فقوله تعالى: {وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ} وقع حالاً مما قبله، كما ذكره أبو السعود حيث قال:

" والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير يورث أو من رجل على تقدير كون{يُوْرَثُ} صفة" (٦).

فإذا كانت الجملة: {وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ} في موضع الحال، فلابد أن يكون هذا الأخ أو الأخت مغايرا لصاحب الحال، ويكون تأويل الآية كما يلي:

"إن كان رجل يروث كلالة أو امرأة، بحيث مات وليس له ولد، وإنما له أخت أو أخوات، أو إخوة لأب وأم، أو لأب، والحال أن له أخا أو أختا كذلك، فهذا الأخ أو تلك الأخت، له أولها السدس، وإن كانوا أكثر من واحد، فهم شركاء في الثلث.

ويفهم من السياق أن هذا الأخ أو الأخت، لا يكون غير أخ لأم، أو أخت لأم فإن الأخ لأب وأم، أو الأخ لأب داخل في معنى الكلالة، فلم يبق بعد الكلالة غير أخ لأم أو أخت لأم.

والذي ورد في الروايات من "أن سعداً كان يقرؤها: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة، وله أخ أو أخت من أم" (٧).

فهذا من قلة فهم الراوي، فإنها ما كانت قراءة، وإنما كان من قبيل الاستنباط من نظم الآية.

ويفهم من السياق أن الأخ لأم والأخت لأم ليسا من الكلالة، خلافاً لما ذهب إليه الأزهري أو القرطبي أو غيرهما من أهل اللغة والتفسير.

حكم الإخوة لأم:

ويفهم من السياق أن الأخوة لأم لا يرثون إلا في صورة الكلالة، أي: لايرثون إلا إذا كان يرث الإخوة لأب وأم، أو الإخوة لأب، وهم لا يرثون إلا تبعاً لهم.

وإذا كانوا لا يرثون إلا تبعا لهم، فلا يمكن أبداً أن يتقدموهم في الميراث، حيث يغنم الإخوة لأم، ويحرم الإخوة لأب وأم، أو الإخوة لأب.

حتى ولا يمكن أن تتساوي أقدامهم في الميراث، فكل يأخذ نصيبه حسب قرابته من المورث، فإن صح أن الإخوة لأب وأم، أو الإخوة لأب أقرب إلى المورث من الإخوة لأم، فلا بد أن يكون لهم النصيب الأكبر في الميراث في جميع الأحوال.

وأما ما قاله الشوكاني، فهو كلام يعوزه الدليل، يقول الشوكاني:

"ودلت الآية على أن الإخوة لأم إذا استكملت بهم المسألة كانوا أقدم من الإخوة لأبوين، أو لأب، وذلك في المسألة المسماة بالحمارية، وهي إذا تركت الميتة زوجاً وأماً وأخوين لأم، وإخوة لأبوين، فإن للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوين لأم الثلث، ولا شيء للإخوة لأبوين، و وجه ذلك أنه قد وجد الشرط الذي يرث عنده الإخوة من الأم، وهو كون الميت كلالة، ويؤيد هذا حديث: "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي، فلأولي رجل ذكر" وهو في الصحيحين، وغيرهما" (٨).

نقول لقد تملينا الآية ملياً، وأقمنا عليها طويلاً، ولكن لم يظهر لنا كيف تدل الآية على أن الإخوة لأم أقدم من الإخوة لأبوين، وكيف يمكن ذلك وهو خلاف الأصل، وخلاف العقل؟ فالآية من القرآن لا تدل أبداً على أمر لا يقبله العقل، ويكون مخالفاً للأصل.

وإذا كان الأصل في توزيع الميراث أن يكون على أساس الأولوية والأقربية، فكيف يمكن أن يحرم الأقرب، ويغنم الأبعد؟ حتى يضطر شخص إلى أن يتفوه بتلك الكلمة السفيهة، التي روتها لنا الرواة: "هب أن أبي كان حماراً" أو"هب أن أبي كان حجراً في اليم"!

فكتاب الله أجل، وأرفع من مثل هذه الهزليات، وليست في شريعته "الحماريات" ولا "الحجريات"!

كيف التوزيع بين الإخوة ؟

وتلك المشكلة التي ذكرها الشوكاني لا تحدث إلا نتجية لخطء في طريقة التوزيع، فتوزيع الميراث بين الإخوة لا يكون كما ذكروه، وإنما طريقته أن يعطي كل ذي فريضة فريضته ما عدا الإخوة، ثم الباقي يوزع بين الإخوة حسب نصيبهم في كتاب الله، فإن كان أخ أو أخت لأم أخذ سدس الباقي، وإن كانوا أكثر من واحد: اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة فما فوق الأربعة، أخذوا ثلث الباقي، وهذا

الثلث يوزع بينهم بالسوية، للذكر مثل حظ الأنثين، وما بقي بعد إفراز السدس أو الثلث، وزع بين الإخوة لأب وأم، والإخوة لأب حسب نصيبهم في كتاب الله.

حكم الإخوة لأب:

ويفهم من سياق الآية أن الإخوة لأب وأم، والإخوة لأب يكونون في حكم واحد، وفي درجة واحدة، ويرثون مرة واحدة، إذا اجتمعوا، ولا يكون بعضهم حاجباً لبعضهم، على عكس ما قيل.

فالقرآن لم يصنف الإخوة إلا إلى صنفين، صنف ذكروا في آية الصيف، وهم الإخوة لأب وأم، والإخوة لأب، وصنف ذكروا في أول السورة في الآية رقم (١٢) وهم الإخوة لأم. فهذان صنفان للإخوة لا ثالث لهما.

فتصنيف الإخوة إلى ثلاثة أصناف، ليس عليه دليل، لا في القرآن، ولا في السنة.

رواية واهية نالت القبول عند أهل العلم !

وهناك رواية رويت عن سيدنا علي، ولعل هذه الرواية هي التي حملت على القول بحجب بعض الإخوة بعضهم على الآخرين وهي كما يلي:

حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان حدثنا أبو إسحق عن الحارث عن علي قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي. وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم (٩).

وإذا كان بعض أهل العلم قد تكلموا في الحارث، فلننظر ما ذا قالوا: حتى نكون على بينة من أمره، فصاحبنا هذا هو الحارث بن عبد الله الاعور الهمداني الخارفي أبو زهير الكوفي.

قال مسلم في مقدمة صحيحه: ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي، قال: حدثني الحارث الاعور الهمداني، وكان كذابا(١٠).

وقال الجوزجاني سألت علي بن المديني عن عاصم والحارث فقال مثلك يسأل عن ذا؟ الحارث كذاب، وقال الدارقطني: الحارث ضعيف.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ.

وقال ابن حبان: كان الحارث غالياً في التشيع واهياً في الحديث (١١).

وروي أبو بكر بن عياش، عن مغيرة، قال: لم يكن الحارث يصدق عن علي في الحديث.

قال حصين عن الشعبي: ما كذب عليّ أحد من هذه الأمة، ما كذب عليّ علي (١٢).

هذا هو الحارث الذي قال عنه الترمذي: "وقد تكلم بعض أهل العلم في

الحارث، والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم"، فما بال أهل العلم عملوا بحديث رجل لم تكن بضاعته إلا الكذب، والذي عرف بالكذب على علي، وهو لم يكذب على أحد مثل ما كذب على عليّ !

وإذا رأينا في الموضوع من ناحيةالفقه والدراية، فالرؤية الفقيهة الواعية لا تقر تلك الرواية، حيث لا يجوز أن يحجب أعيان بني الأم إخوانهم من بني العلات، وهم لا يحجبون الإخوة للأم؟ وكيف يجوز أن يحجبوا الأقرب، ولا يحجبوا الأبعد؟!

حكم الأب مع الإخوة :

وشيء آخر نلاحظه في آية الصيف، هو أنها لا تذكر في تعريف الكلالة، الأب نهائيا، وهذا لا يعني إلا أن الأب لا علاقة له بالموضوع، ولا يختلف الوضع إذا كان موجودا، أو غير موجود، ففي كلتا الحالتين ترث الأخت مثل ما ترث البنت، وترث الأخوات مثل ما ترث البنات، ويرث الإخوة مثل ما يرث البنون، وأما الأب فلا يكون له من الميراث في حالة وجود الأخ أو الأخت، إلا مثل ما يكون له في حالة وجود الابن، وهو السدس خلافا لما درج عليه الفقهاء والمفسرون .

وأما ما قاله الزمخشري في تفسير الآية، حيث قال :

فإن قلت: الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط، فلم اقتصر على نفي الولد؟ قلت: بين حكم انتفاء الولد، ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة، وهو قوله عليه السلام : "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر: والأب أولى من الأخ، وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة، ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد، فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب، فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد، ولأن الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا، فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر (١٣) .

وكذلك ما قاله ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى : {ليس له ولد} حيث قال:"يريد: ولا والد" فاكتفى بذكر أحدهما، ويدل على المحذوف أن الفتيا في الكلالة، وهي من ليس له ولد ولا والد"(١٤).

فهذه كلها تأويلات باردة، تأويلات لا تخلو من تكلف وتمحل، تأويلات ليس لها دليل من اللفظ أو من السياق، وإنما هي عبارة عن تطويع الآية لمعنى أجنبي عنها، أو هي من تحميل الآية مالا تحتمله .

وهذا خلاف الأصل، فالأصل في الآية أن ندور معها حيثما دارت، ونسير معها حيثما سارت، ولا نلوي عنقها حتى نجعلها طبقا لهوانا، أو طبقا لمفاهيمنا الخاطئة، التي ورثناها ممن قبلنا، فكتاب الله فوق كل شيء، وهو يقضي ولا يُقضى عليه .

رواية عن أبي بكر، ودراستها:

وهنا لا بدلنا من وقفة عند ما روي ابن جرير عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا عاصم الأحول قال، حدثنا الشعبي: أن أبا بكر رحمه الله قال في الكلالة: أقول فيها برأيي، فإن كان صوابًا فمن الله: هو ما دون الولد والوالد. قال: فلما كان عمر رحمه الله قال: إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر (١٥).

حينما ننظر في هذه الرواية نجد أنفسنا أمام إشكالات وتساؤلات، منها:

لقد نزلت آية الكلالة في السنين الأوائل من العهد المدني، أي: بعد غزوة أحد على أصح القولين، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنين عدداً، وكان أبو بكر الصديق يلازمه في صباحه ومسائه، وغدوه ورواحه، وسفره وحضره، فما الذي منعه أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معني الكلالة، إن كان لا يعلمه ؟

الكلالة ليس لفظاً دخيلاً في لغة العرب، بل هو عربي بحت قديم، والعرب كانوا يعرفونه، وكانوا يستعملونه في كلامهم، في شعرهم، ونثرهم، قال يزيد بن الحكم:

والمرء يبخل في الحقو ق وللكلالة ما يسيم
ما بخل من هو للمنو ن وريبها غرض رجيم (١٦)

فهل استعمل هذا الشاعر لفظ الكلالة بدون أن يستوعب معناه؟ ولعله ليس بعيداً عن المعنى الذي وردت به آية الصيف .

ثم هناك روايات عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، استعملوا فيها لفظ الكلالة .في نفس المعنى الذي ورد به القرآن، حيث روى الإمام مسلم قال:

حدثني محمد بن حاتم حدثنا بهز، حدثنا شعبة أخبرني محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا مريض، لا أعقل فتوضأ فصبوا علي من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله إنما يرثني كلالة، فنزلت آية الميراث، فقلت لمحمد بن المنكدر ! {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} ! قال هكذا أنزلت (١٧) .

وروي الإمام أحمد: قَالَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْقَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَمْرِو بْنِ الْقَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ فَخَلَّفَ سَعْدًا مَرِيضًا حَيْثُ خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ فَلَمَّا قَدِمَ مِنْ جِعِرَّانَةَ مُعْتَمِرًا دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ وَجِعٌ مَغْلُوبٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالًا وَإِنِّي أُورَثُ كَلَالَةً (١٨) .

فإن كان لفظ الكلالة واضحاً معلوماً عند الشاعر العربي، وكان واضحاً معلوماً عند جابر بن عبد الله، وكان واضحاً معلوماً عند سعد، فما ظنك بأبي بكر؟ وأبوبكر هو أبو بكر! وهل يمكن أن يفوته هذا اللفظ، أو يفلته معناه مع طول باعه، وعلو كعبه في لغة العرب ؟

ثم ما معنى قول عمر: إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر؟ لو حدث - مثلاً - أن أبا بكر وقع في خطء، فهل يتركه عمر حتى يتأصل ويتفاقم، أم يبادر إلى إصلاحه؟

وهل الاختلاف عيب على صاحبه، إن كان إسهاماً في العلم، وتمكيناً للحق؟ وكم اختلف عمر مع أبي بكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته، ولكن هذا الاختلاف لم يفسد للود قضية، وما جنت الأمة منه إلا الخير والبركة .

(للبحث صلة)

ثبت المراجع:

١. الجامع لأحكام القرآن٧٨/٥ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.
٢. تفسير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر، سورة النساء:آية رقم ٤، ٣٥٥/١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٣. الجامع لأحكام القرآن٧٨/٥.
٤. الزبيدي، تاج العروس: كلل .
٥. السنن الكبرى للبيهقي ٢٢٤/٦، دار الفكر .
٦. تفسير أبي السعود ١٥٢/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٧. سنن البيهقي الكبرى، باب فرض الإخوة والأخوات للأم ١٢١٠٢/٢٣١/٦.
٨. فتح القدير ٤٧٥/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٩. سنن الترمذي، ص: ٤٧٢، رقم الحديث: ٢٠٩٥، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
١٠. مقدمة صحيح مسلم، باب الكشف عن معايب رواة الحديث ١٩/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١١. تهذيب التهذيب ١٤٦/٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى.
١٢. سير أعلام النبلاء ١٥٤/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
١٣. الكشاف عن حقائق التنزيل، رتبه وضبطه وصححه، مصطفى حسين أحمد ٥٩٩/١، دار الكتاب العربي.
١٤. زاد المسير في علم التفسير ٢٦٦/٢، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
١٥. تفسير الطبري، سورة النساء ٣٥٢/٤.
١٦. ديوان الحماسة لأبي تمام الجزء الأول، باب الأدب، ص: ٦١٣، إدارة الثقافة والنشر، المملكة العربية السعودية ١٤٠١هـ/١٩٨١م
١٧. صحيح مسلم، باب ميراث الكلالة ١٢٣٥/٣
١٨. مسند أحمد ١٧٠٣٥/٣٨٥/٣٥، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

دراسات أدبية ولغوية:

رسالتان من أحمد شوقي وحافظ إبراهيم إلى دمشق والقاهرة!!

سعادة الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن صالح العسكر
الدلم، المملكة العربية السعودية

دمشق مدينة عرفها التاريخ منذ مئات القرون، و ورد في بنائها عدد من الأقوال، من أشهرها: إن الذي بناها (دماشق) من ذرية نوح عليه السلام، وقيل: (جيرون) بن نوح عليه السلام، و ولد إبراهيم عليه السلام بعد بنائها بخمس سنين، وقيل: بناها (العازر) غلام إبراهيم عليه السلام، وقيل: بناها هود عليه السلام، واسمها(دمشق) بكسر أوله وفتح ثانيه، و روي بكسر ثانيه، ومن قراءة لتاريخ بناء دمشق يتضح لنا أنها بلد التوحيد والأنبياء .

وقد سميت (دار السلام) وعرفت على مر العصور بأنها بلد الأمان والهدوء، والنعم والوافرة، فكانت بعيدة عن الفتن والصراعات ونقض العهود، كما هو الحال في بلاد أخرى .

و ورد في قول الله تعالى :{وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} [المؤمنون:٥٠] هي دمشق ذات قرار وذات رخاء من العيش وسعة ومعين كثيرة الماء، وقال قتادة في قول الله تعالى :{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ❖ وَطُورِ سِينِينَ} [التين ١-٢] التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس، وطور سنين: شعب حسن، والبلد الأمين: مكة، وقيل: إرم ذات العماد: دمشق .

وقال الأصمعي : جنان الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، ونهر بلخ، ونهر الأبلة

قال ياقوت الحموي: "ومن خصائص دمشق التي لم أر في بلد آخر مثلها: كثرة الأنهار بها، وجريان الماء في قنواتها، فقل أن تمرّ بحائط إلا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر، وما رأيت بها مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاها إلا والماء يجري في بركة في صحن هذا المكان، ويسع في ميضاة.. وبها مغاور كثيرة وكهوف وآثار للأنبياء والصالحين لا توجد في غيرها، وبها فواكه جيدة فائقة طيبة تحمل إلى جميع ما حولها من البلاد من مصر إلى حران.. فتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ هـ في خلافة الفاروق رضي الله عنه، وفتحها أربعة من قواد جيوش الإسلام هم : خالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم ورحمهم، وكان فتحها

صلحاً مع أهلها" (1).

أما الجامع الأموي فهو درة الزمان وتاج الشام! قال عنه المؤرخون: هو جامع المحاسن كامل الغرائب معدود إحدى العجائب.. وقيل فيه أوصاف يطول المقام بسردها، بناه عبد الملك بن مروان سنة ٨٨ هجرية.

و أورد الحموي في أخبار بناء الجامع: "إنه عمل في تسع سنين، وكان فيه عشرة آلاف رجل في كل يوم يقطعون الرخام، ثم أورد في قصة سقفة خبراً طريفاً يحمل دلالات رائعة" (2) ثم قال الحموي: وحكى الجاحظ في كتاب البلدان قال: قال بعض السلف: ما يجوز أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق لما يرونه من حسن مسجدهم" (3).

ولم يزل جامع دمشق على تلك الصورة يبهر بالحسن إلى أن وقع فيه حريق في سنة ٤٦١ هجرية فذهب بعض بهجته، قال أبو المطاوع بن حمدان في وصف دمشق:

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها ... فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفني ... إلى بردى والنيربين حنين
وقد كان شكي في الفراق يروعني ... فكيف أكون اليوم وهو يقين؟
فو الله ما فارقتكم قاليا لكم ... ولكن ما يقضى فسوف يكون

وقال الصنوبري:

صفت دنيا دمشق لقاطنيها ... فلست ترى بغير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها ... خلال حدائق ينبتن وشيا
مكللة فواكههن أبهى الـ ... مناظر في مناظرنا واهيا (5)

وقال البحتري:

أما دمشق فقد أبدت محاسنها ... وقد وفى لك مطريها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلدٍ ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ... ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلاً ... أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

هذه إشارات يسيرة إلى ما قيل في دمشق شعراً في سالف عهدها وبقي

---

1 - معجم البلدان ط: ١ عام ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية في بيروت، ج/٢، ص: ٥٢٩.
2 - المصدر السابق نفسه ص:٥٣١
3 - المصدر السابق نفسه
4 المصدر السابق نفسه
5 المصدر السابق نفسه
6 - ديوان البحتري ط:١٤٠٠هـ دار بيروت ج/١، ص:٢٦

من ذلك كثير وكثير.. وأما علماؤها فهم عدد كبير منهم الفقهاء والمحدثون والمؤرخون، بل والأطباء والمتخصصون في شتى العلوم.

لكل ذلك تغنى الشعراء بدمشق، ولكل ذلك أحبها العلماء والفقهاء، ولكل ذلك كانت عاصمة الخلافة الإسلامية لعدة قرون.. منها انطلقت الفتوح، وفيها تخرج العلماء، ومنها انطلقت أنوار الهدي والسلام والإصلاح، وحق لأحمد شوقي في العصر الحديث أن ينظم فيها درة من درر شعره بعنوان: "نكبة دمشق" ألقاها عام ١٩٢٦م في خمسة وخمسين بيتاً من البحر الوافر والقافية بحرف القاف ومطلعها البيت المشهور:

سلام من صبا بردى أرق ... ودمع لا يكفكف يا دمشق
وبي مما رقتك به الليالي ... جراحات لها في القلب عمق

ويصف شوقي الألم لما حل بدمشق علي يد (المستعمرين) المحتلين فيقول:

وقيل معالم التاريخ دكت ... وقيل: أصابها تلف وحرق
ألست .دمشق .للإسلام ظئراً ... ومرضعة الأبوة لا تعق؟ (1)
بنيت الدولة الكبرى وملكا ... غبار حضارتيه لا يشق
له بالشام أعلام وغرس ... بشائره بأندلس تدق
رباع الخلد .ويحك .ما دهاها؟ ... أحق أنها درست؟ أحق؟

وأحمد شوقي مصري المولد لكنه دمشقي الحب والغيرة والوفاء، يرى أن أعداء دمشق هم أعداء القاهرة وبغداد، وغيرها، ويرى أن بلاد المسلمين واحدة، وأن العرب جسم واحد، وأي ألم يشكو منه جزء يمس الجسم كله يقول شوقي:

دم الثوار تعرفه فرنسا ... وتعلم أنه نور وحق
جرى في أرضها، فبه حياة ... كمنهل السماء، وفيه رزق
بلاد مات فتيتها لتحيا ... وزالوا دون قومهم ليبقوا

إنها حياة تعقب موتاً، طباق في اللغة والبلاغة، وحقيقة في التاريخ والحضارات.. وزالوا ليبقى من بعدهم أعزة كراما لا يمسهم نصب ولا لغوب ولا يدنس كرامتهم حاقد أو مستبد:

وجررت الشعوب على قناها ... فكيف على قناها تسترق ؟
بني سورية . اطرحوا الأماني ... وألقوا عنكم الأحلام، ألقوا
فمن خدع السياسة أن تغروا ... بألقاب الإمارة وهي رق
نصحت ونحن مختلفون داراً ... ولكن كلنا في الهم شرق !!
ويجمعنا إذا اختلفت بلاد ... بيان غير مختلف ونطق !!
وقفتم بين موت أو حياة ... فإن رمتم نعيم الدهر فاشقوا

---

1 - ظنر معناها: مرضعة

وللأوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
ومن يحمي البلاد ويرد الضيم عنها إذا لم ينهض بذلك أبناؤها الأوفياء؟!!

ومن يسقى ويشرب بالمنايا إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا؟!
ولا يبنى الممالك كالضحايا ولا يدنى الحقوق ولا يحق
ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهمو وعتق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق (1)

هذه قصيدة نظمت قبل خمس وثمانين سنة.. وما أشبه الليلة البارحة، وما أشد شوقنا إلى أن تعود (دمشق) محضنا للعلماء والمصلحين، ما أحوج أهلها إلى العودة للأصالة والمشاركة الحقيقية في نهضة أمة الإسلام، ورفع الظلم عنها، والعودة الجادة إلى منابر الريادة والسمو والشرف بعد أن بعدت عن ذلك كثيراً على يد المفسدين ومستعبدي البشر وسراق ثرواتهم.

وقرينة دمشق القاهرة: تلك المدينة التي تتربع على نهر من أطول وأشهر أنهار الدنيا، تلك المدينة التي تعد عمود مصر ومركز إدارتها وينبوع ثقافتها، ودرع أمانها ومداد كرامتها، بناها جوهر الصقلي غلام المعز أبي تميم الملقب بالمنصور بن أبي القاسم بعد سنة ٣٥٨ هجرية، قال ياقوت الحموي: "هي أطيب وأجل مدينة رأيتها لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها" (2).

وأقول: لقد صدق ياقوت: فنهر النيل مصدر جمال ومتعة، ونماء، ولطف، وقوة، للقاهرة ولمصر، ولقد رأيتها كذلك، وعرفت من أبنائها وفيهم معاني الأصالة والقوة والحيوية، وعرفت رجالاً لا تثنيهم عن عزمهم العقبات ولا توقفهم الصعوبات ولا ترهبهم التهديدات.. لقد طردوا المستعمرين المحتلين وأطفأوا فتن المنافقين وكتبت أسماؤهم في المجاهدين والمبدعين والمنتصرين.

وقرأنا في مؤلفات وأشعار المصريين ما يملك الألباب، ويبهر الأدباء والكتاب، ولا يستطيع دارس أو ناقد أن يتجاوز (شاعر النيل) حافظ إبراهيم دون أن يقف مع شعره وقفة تقدير وإعجاب، وثناء، وحسبنا هنا أن نقف مع قصيدة واحدة من ديوان شعره، وعنوانها: "مصر تتحدث عن نفسها" يقول حافظ:

إنني حرة كسرت قيودي رغم رقبى العدا وقطعت قدى
قل لمن أنكروا مفاخر قومي مثلما أنكروا مآثر ولدى
هل فهمتم أسرار ما كان عندي من علوم مخبوءة طيء بردى
إن مجدي في الأوليات عريق من له مثل أولياتي ومجدي

1 - ديوان الشوقيات ج/٢ ص: ٧٤ ـ ٧٧
2 - معجم البلدان ج/ ٤، ص: ٣٤١ ـ ٣٤٢

أنا أم التشريع قد أخذ الرو مان عنى الأصول في كل حد
وقديماً بنى الأساطيل قوم ففرقن البحار يحملن بند
فسلوا البحر عن بلاء سفيني وسلوا البر عن مواقع جرد

ذلك تاريخ القاهرة ومصر، منها ومن أهلها سارت الفتوحات في إفريقيا، ومن أرضها انطلقت قوافل الدعوة إلى دين الله، لا في إفريقية فحسب، ولكن في القارات كلها، وفي الجامع الأزهر تعلم الآلاف من الدارسين من إفريقية ومن آسيا ومن غيرهما.. وقد دحر أبناء مصر الغزاة والمحتلين وطهروا بلادهم من رجسهم، وكتبت انتصاراتهم في غرر صفحات التاريخ .. فمن ينكر ذلك التاريخ؟ ومن يحق له أن يحتقر المصريين أو ينتقص من قدرهم، وأي زعيم يظن أنه سينسيهم مجدهم وعزتهم فهو وأهم وسيرديه غروره، يقول حافظ:

أتراز وقد طويت حياة في مراس لم أبلغ اليوم رشد
أ شعب أحق مني بعيش وأرف الظل أخضر اللون رغد
أمن العدل أنهم يردون الماء صفوا. وأن يكدر ورد !!
أمن الحق أنهم يطلقون الأ سد منهم، وأن تقيد أسد !!
نصف قرن إلا قليلاً أعاد ما يعاد هوانه كل عبد
نظر الله له فأرشد أبناء فـ شدوا إلى العلا أشد
إنما الحق قوة من قوى الديا ن امض من كل أبيض هند
قد وعدت العلا بكل أبـ من رجال فأنجزوا اليوم وعد
كم بغت دولة علـ وجارت ثم زالت وتلك عقبى التعد

هذه أبيات من قصيدة لحافظ إبراهيم عنوانها: "مصر تتحدث عن نفسها" وحافظ توفي سنة ١٩٣٢م أي قبل ثمانين سنة، وقارئ هذه القصيدة ربما يحس أنها نظمت الآن!!

انظر إليه يقول في القصيدة نفسها:

أ شيء في الغرب قد بهر النا س جمالاً ولم يكن منه عند
فترابـ تبر ونهر فرات وسماء مصقولة كالفرند
ورجال لو انصفوهم لسادوا من كهول ملء العيون ومرد!!
لو أصابوا لهم مجالاً لأبدوا معجزات الذكاء في كل قصد
إنهم كالظبا ألح عليها صدا الدهر من ثواء وغمد
فإذا صيقل القضاء جلاها كن كالموت ماله من مرد
ما رماد رام وراح سليماً من قديم عناية الله جند

لقد صدق حافظ، فهكذا رأينا أهل مصر: وصلوا إلى أعلى التقنيات، وبهروا العالم بذكائهم وإبداعهم وصبرهم وجلدهم، فخير أساتذة عرفناهم ونحن على مقاعد الدراسة وبخاصة في اللغة العربية، هم مشايخنا من مصر

رحمهم الله.. ونحن نرى ما حقق إخواننا المصريون اليوم من إنجازات يكادون يتميزون بها بين شعوب العالم، ويتفوقون بها على الشرق والغرب، ولم يكن يعيقهم في السنوات الماضية إلا قيادة غير راشدة تولت زمام الأمر في بلادهم عقودا من الزمان !!

وإذا عدنا إلى قصيدة حافظ وجدنا معاني أخرى ينص عليها في الأبيات التالية:

قد وعدت العلا بكل أبى ... من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى
امهروها بالروح فهى عروس ... تشتأ المهر من عروض ونقد
وردوا بى مناهل العز حتى ... يخطب النجم في المجرة ودى
وارفعوا دولتى على العلم والأخـ ... ـلاق فالعلم وحده ليس يجدى
وتواصلوا بالصبر إن فار ... رق قوما فما له من مسد

هذه مقومات العز والنصر: علم وأخلاق وصبر، تحتاجها مصر كما تحتاجها كل البلاد، ومصر وعدت برجال يرفعون الرأس وتعلو بهم الأمة فلابد أن تفي بوعدها، وها هو حافظ يحذر مصر من أعدائها ويبشر بمستقبل أفضل نأمل أن تكون بوادره بدأت تخرج الآن:

إن في الغرب أعينا راصدات ... كحلتها الأطماع فيكم بسهد
فوقها مجهر يريها خفايا ... كم ويطوى شعاعه كل بعد

كيف كان ينظر إلى ذلك قبل ثمانين سنة، إنها عبقرية المصري "حافظ إبراهيم" رأي أعينا راصدات ركبت مجهرا به ترى الخفايا وشعاع ذلك المجهر يخترق الحواجز والسدود ولا يعجزه بعد المسافات !! ولكن أباة المصريين له بالمرصاد:

ويظن الغوى أن لا نظام ... ويقول القوى قد جد جدى
فقفوا فيه وقفة الحزم وارموا ... جانبيه بعزمة المستعد
إننا عند فجر ليل طويل ... قد قطعناه بين شهد ووجد
غمرتنا سود الأهاويل فيه ... والأمانى بين جزر ومد
وتجلى ضياؤه بعد لأى ... وهو رمز لعهدى المسترد
فاستبينوا قصد السبيل وجدوا ... فالمعالى مخطوبة للمجد[1]

هذه قصيدة حافظ إبراهيم وقد بلغت أبياتها سبعة وخمسين بيتاً من البحر الخفيف، وفيها رسالة بليغة إلى مصر وأهل مصر، ودعوة إلى أصالة هم لها فهل تصل الرسالة وتتبوأ مصر مكانها في الحاضر، كما كانت في الماضي، ويمكن رجال مصر المخلصون من خدمة بلادهم وأمتهم، ويسعد كل مصري بثروات بلاده ليطرد الجهل والفقر والظلم إلى غير رجعة ؟ لعل وعسى..

[1] - ديوان حافظ إبراهيم ط: ١٩٦٩م في بيروت ج/٢، ص:٨٩- ٩٤.

الأدب العربي السعودي مسيرته ومميزاته

(الحلقة الأولى)

بقلم الدكتور عرفات ظفر
قسم اللغة العربية وآدابها جامعة لكناؤ، لكناؤ(الهند)

إن المملكة العربية السعودية منطقة تاريخية، وجذورها ضاربة في أعماق الزمان، هي عاصمة دينية للعالم الإسلامي كله، وذلك لوجود الحرمين الشريفين ومعظم المقدسات الإسلامية في ربوعها، فيشعر كل مسلم أياً كان موطنه وجنسيته بعلاقة روحانية خاصة بهذه البقعة المقدسة، وعلاوة على ذلك تتميز هذه المملكة السعودية بالنشاطات التعليمية والدينية والأدبية والثقافية، ولها دور بازر وإسهام ملحوظ في خدمة اللغة العربية وإثراء الفنون الأدبية الحديثة وإحياء التراث العربي العريق وتحقيقه ونشره من جديد.

إن الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية التي كانت تشهدها شبه الجزيرة العربية قبل تأسيس المملكة العربية السعودية كانت مضطربة ومتدهورة، ولم تكن صالحة لارتقاء الأدب والثقافة في هذه المنطقة، وفي هذا الوضع المتدهور سعى أمراء الأسرة السعودية وحكامها لتأسيس دولة إسلامية قوية، وقاموا بتوحيد شتى أنحاء الجزيرة العربية ليستتب الأمن والاستقرار في ربوعها.

وفي نفس الجو القائم بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته السلفية وقام بإصلاح الحياة الاجتماعية والدينية، ولتحقيق هذه الأهداف النبيلة تعاهد الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى، والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتبايعا على أن يعمل كل منهما لتأسيس دولة إسلامية ونشر الدعوة الإصلاحية بكل ما يستطيعان من الوسائل والتدابير، ومن ثم ارتبطت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتاريخ آل سعود، وهكذا سارت القوة والعلم جنبا إلى جنب.

مرت الدولة السعودية في تاريخها الطويل بمراحل مختلفة من المد والجزر وبالنهوض والسقوط، حتى تأسست المملكة العربية السعودية في ربوع الجزيرة على يدي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عام ١٩٣٢م، ونعمت البلاد بالهدوء والاستقرار، الذي ساعد على ظهور حركات ونشاطات علمية وأدبية وثقافية متنوعة واتجه الأدباء والكتاب إلى العمل الجاد المثمر

وقدموا إنتاجات أدبية مميزة في جميع الفنون الشعرية والنثرية، كما بدأت الصحافة السعودية خطوتها الأولى بصدور أول جريدة سعودية باسم "أم القرى"، ومنذ ذلك التاريخ أصبح "عربي سعودي" مصطلحاً يدل على ما له صلة بهذه المملكة الوليدة الجديدة ومجتمعها، ومنه الأدب السعودي الحديث، وبدأ يظهر على المسرح الأدبي للبلاد رويداً رويداً شعراء وأدباء وكتاب وصحفيون ممن يعبرون عن عواطفهم الوطنية الصادقة ومشاعرهم الإسلامية الخالصة.

ونظراً لحماس الشباب تجاه القراءة والكتابة والتعليم والثقافة قام الملك عبدالعزيز بتأسيس المدارس والمعاهد والكليات والجامعات للبنين والبنات في مختلف أصقاع المملكة وابتعاث وفود الطلبة من أبناء البلاد إلى مراكز العلم والثقافة في الأقطار العربية الأخرى. وهذا التشجيع الحكومي للأدب والعلم والمنهمكين فيهما نفخ روحاً جديدة في الحركة الأدبية السعودية الناشئة، وازدادت نشاطات هذه الحركة الأدبية، أضعافاً مضاعفة حينما تم الاتصال بين نفر من شباب المملكة و رواد الأدباء والشعراء في بعض الدول العربية الشقيقة، وجرى بينهم التبادل الفكري والأدبي الثقافي. وبفضل هذا الاتصال والاحتكاك تأثر الشعراء السعوديون بالاتجاهات الأدبية الحديثة والتيارات التجديدية الثائرة على أغراض الشعر وأشكاله التقليدية الرائجة في تلك البلاد واستفادوا بها في حركتهم الشعرية الحديثة.

وفي العقدين الخامس والسادس من القرن الميلادي المنصرم دخلت المملكة العربية السعودية عهداً جديداً من الانطلاقة الحضارية الشاملة وخاصة في مجالات الأدب والتعليم والثقافة. وفي هذه الفترة بدأت الوفود التعليمية من أبناء المملكة تعود إلى الوطن مزودين بالعلم النافع وبعقول متفتحة وأذهان صافية وثقافة واسعة، وأصبح لهم دور بارز في توجيه النشاط الأدبي على أسس ثقافية علمية متينة، وبرز منهم رواد في كل فن من الفنون الأدبية الحديثة، وأسسوا نوادي أدبية ومؤسسات ثقافية في مختلف مناطق المملكة لإذكاء الروح الأدبية بين الشباب.

وهكذا تقدمت رحلة الأدب السعودية تدريجياً حتى بلغت إلى هذه المنزلة الرفيعة، وفي الحقيقة أنها لا تزال تتقدم إلى النمو والتطور والازدهار، وأصبح الأدب العربي السعودي الآن مادة علمية من ضمن المواد التي يدرسها الطلبة في الجامعات السعودية المنتشرة في شتى أرجاء المملكة.

وبالرغم من هذه الحقيقة يرى كثير من العلماء والأساتذة والباحثين في الهند أن المملكة العربية السعودية ليست لها حظ وافر جدير بالملاحظة في الأدب

العربي الحديث، وهم لا يعرفون عن النشاطات الأدبية والحركات الشعرية الراهنة في المملكة إلا قليلا، إذ أن كلهم يعرفون فحول شعراء الجزيرة من العصرين الجاهلي والإسلامي من أمثال امرئ القيس، وزهير، ونابغة الذبياني، وحسان بن ثابت رضي الله عنه، وكعب بن زهير، والخنساء، وعمرو بن ربيعة، وذلك أن قصائد هؤلاء الشعراء القدامى تدرس في المدارس العربية الإسلامية والجامعات العصرية الحكومية على حد سواء.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الكتب الأدبية والدواوين الشعرية المصرية والعراقية والسورية أكثر توافراً في مكتبات الجامعات والمدارس الهندية، وبمقابل ذلك نلاحظ أن مواردنا ومعلوماتنا عن الفنون الأدبية للدول الخليجية ولا سيما عن المملكة السعودية قليلة للغاية، وذلك بالرغم من أن المملكة السعودية قد أحرزت في العقود الأخيرة تقدماً هائلاً وازدهاراً واسعاً في حقول الشعر والأدب والثقافة وأنجبت أرضها الطيبة المباركة شعراء عمالقة، وأدباء موهوبين و روائيين مبدعين رجالاً ونساء يستحقون كل التقدير والثناء من الكتاب والباحثين في العالم.

ولكن من المؤسف جداً أن المكتبات الهندية الشهيرة للعلوم العربية واللغات الشرقية من أمثال مكتبة العلامة شبلي النعماني التذكارية بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، ومكتبة مولانا آزاد بجامعة علي جراه الإسلامية، ومكتبة الدكتور ذاكر حسين بالجامعة المللية الإسلامية، والمكتبة المركزية لجامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي، ومكتبة طاغور لجامعة لكناء، التي يزورها الطلبة والباحثون في الهند أثناء إعداد بحوثهم ومقالاتهم وأطروحاتهم، كلها شبه خالية إلى حد كبير من مواد الأدب السعودية، ومن تلك البحوث والدراسات والموسوعات التي صدرت مؤخراً ولا تزال تصدر عن الأدب السعودي في مختلف أنحاء المملكة التي شاهدتها خلال زيارتي للمملكة في معرض الرياض الدولي للكتاب الذي أقيم في عاصمة المملكة في مستهل شهر مارس للعام الجاري ٢٠١١م، فأرجو من المسؤولين والجهات المعنية في المملكة وخاصة سعادة الدكتور إبراهيم بن محمد البطشان الملحق الثقافي في السفارة السعودية بنيو دلهي، أن يقوموا بالإجراءات اللازمة في هذا الشأن، ويزودوا هذه المكتبات بالدواوين والقصص والروايات والمسرحيات وكتب التراث والبحوث والدراسات عن الفنون الأدبية السعودية، لكي يختار الطلبة الهنود موضوعات بحوثهم من خضم هذا الأدب الثري، لأننا في حينما نتحدث عن الشعر الحديث واتجاهاته الجديدة والقصة والراوية والمسرحية في المملكة يتعجب الناس من وجودها في

المملكة العزيزة، ومنهم أساتذة اللغة العربية ودارسوها، ويقولون هل يوجد الشعر الحديث والفنون الأدبية الحديثة الأخرى في السعودية ودول الخليج، وهذا لاعتقادهم بأن الأدب العربي الحديث لم ينشأ ولم يتطور إلا في مصر والعراق وسوريا ولبنان، وليس للدول الخليجية أي إسهام جديرٍ بالثناء في هذا المجال.

فلا شك في أن الأدب السعودي باعتباره جزءاً من الأدب العربي العام قد قطع شأواً عظيماً في العصر الحديث بعد أن تدرج في مراحل كثيرة حتى بلغ ما هو عليه الآن من غزارة في الإنتاج ودقة في تناوله لأحداث الحياة، ومن جدة في الأغراض والمعاني، وحداثة في الأشكال والأساليب.

ويجدر بالذكر في هذا المضمار أن الميزة البارزة التي تميز بها الأدب السعودي من غيره هي أنه يستمد وجوده من القرآن الكريم أولاً، ومن أدب النبوة وينابيعها الصافية الرائقة ثانياً، ثم من تراث الجزيرة العربية وأصالتها وعراقتها.

و ذلك لأن تاريخ نهضة هذا الأدب السعودي وتجدده في العصر الحديث يرجع إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية التي تقوم على أساس التوحيد الخالص وتعاليم كتاب الله وسنة رسوله، وهذه الدعوة الإصلاحية لم تؤسس مملكة إسلامية فحسب، بل إنها أنشأت حضارة مجيدة مصطبغة بالصبغة الإسلامية، ومن أبرز مظاهرها الأدب السعودي، وساعد على هذه النهضة عوامل متعددة مثل التعليم والصحافة والمكتبات والجامعات والنوادي والمؤسسات، وبفضل هذه العوامل والمؤثرات وتحت الرعاية البالغة من الحكومة السعودية نشأ وتطور وازدهر في المملكة أدب أصيل يجمع بين القديم والحديث ويتسم بالسمات الإسلامية، ويستمد من الكتاب والسنة، وكل من يدرس هذا الأدب يلاحظ هذه الميزات والخصائص ويحس بوجود الروح الإسلامية القوية في هذا الأدب، ويعترف أن الاتجاه الإسلامي هو الاتجاه الغالب في الأدب السعودي، وخاصة في الشعر السعودي الحديث.

وإلى جانب ذلك نود أن نشير إلى أن الاتجاه الإسلامي في شعر المملكة وأدبها لم يمنعه من السير قدماً في سبيل التجديد والحداثة، ومن مواكبة الحركات الشعرية الحديثة المتوافرة في البلاد العربية الأخرى.

ومن هنا نلاحظ في الشعر السعودي إلى جانب الاتجاه الإسلامي اتجاهات وتيارات أدبية أخرى مثل الرومانسية والواقعية والرمزية وظاهرة الشعر الحر، وما إلى ذلك.

وكذلك تناول الشعراء السعوديون في شعرهم بجانب الموضوعات

الإسلامية الموضوعات الجديدة والقضايا العربية والعالمية المعاصرة، وعبروا عن آلام الشعوب المسلمة الضعيفة وآمالها، واستخدموا الشعر كسلاح فعال لمقاومة الاستعمار والصهيونية.

ومن أهم القضايا التي عالجها الشعراء السعوديون في شعرهم قضية فلسطين وقضية الجزائر، وقضية الوحدة العربية، وقضايا الشعوب المسلمة الضعيفة، ودعوة إلى التضامن الإسلامي، وقضية الأمن العالمي، وقضية التمييز العنصري، وقضية العدالة الاجتماعية، ومشكلة الفقر، والقضية النسائية، إلى جانب قضايا عربية وإسلامية، وخلقية، واجتماعية أخرى، ولكنهم بمعالجتهم تلك القضايا والموضوعات وتعبيرهم عن عواطفهم وخلجات قلوبهم لا يخرجون على الدين والعقيدة ولا يلفظون ما يعارض التعاليم الإسلامية السمحاء، ومن هنا كل من يقرأ دواوين الشعراء السعوديين يلاحظ أن الشعر السعودي خال من الخلاعة والمجون والخمريات إلى حد كبير إلى جانب خلوه من التيارات الهدامة والنظريات الزائفة الفاسدة.

(للبحث صلة)

كتب المراجع:

١. المؤجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، للدكتور عمر الطيب الساسي، مكتبة دار جدة، بيروت عام ٢٠٠٢م.
٢. الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، للدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٥ عام ١٩٨٦م.
٣. نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية للأستاذ محمد عبد الرحمن الشامخ، دار العلوم للطباعة، الرياض عام ١٩٨١م.
٤. في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، للأستاذ عبد الله الحامد، دار الكتاب السعودي الرياض عام ١٤٠٢هـ.
٥. اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية للأستاذ عبد الله الحامد، مطابع مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٤م.
٦. دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب العربي الحديث، للدكتور محمد أنور حفيظ الندوي مركز سعود البابطين للنشر، الرياض عام ٢٠٠٣م.
٧. النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية، للدكتور حفظ الرحمن الإصلاحي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبيان، عام ٢٠١١م.
٨. تطور الفنون النثرية في المملكة العربية السعودية، للدكتور أشفاق ظفر، بحث غير مطبوع، وموجود في مكتبة جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

ولكاتب هذه السطور بحث غير مطبوع عنوانه: "الإتجاهات الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر" وحصل به على شهادة الدكتوراه من جامعة جواهر لال نهرو بينو دلهي.

الصحابي الجليل مازن بن غضوبة الطائي

بقلم: الأستاذ زياد بن طالب المعولي

قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة الأعراف:١٥٧].

نسبه ونشأته:

ذكر العوتبي في كتابه "الأنساب" اسم الصحابي مازن الطائي، فهو مازن بن غضوبة بن سبيعة ابن شماسة بن حيان بن أبي بشر بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء [1]. وأما نسبه عند صاحب الإصابة، فهو مازن بن الغضوبة بن غراب بن بشر بن خطامة بن سعد بن ثعلبة بن نصر بن سعد بن أسد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء [2]. وقد ورد في الاستيعاب للقرطبي ما يفيد انتسابه إلى خطامة طيء، حيث أورد خبره بأنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني امرؤ من خطامة طيء [3].

لم تشر المصادر إلى عام مولده أو وفاته، إلا أننا نرى أن اتصاله بالرسول صلى الله عليه وسلم كان في فترة متأخرة من عمره، ويتأكد لنا ذلك إذا ما وقفنا عند قوله في قصيدة له:

وكنت امرءاً باللهو والخمر مولعاً شبابي حتى آذن الجسم بالنهج

فنهج الثوب أي بلى [4]. فكأنما أشار إلى تقادم جسمه وذلك لا يكون إلا في مرحلة متأخرة من العمر.

وقبيلة مازن هي واحدة من القبائل العمانية القحطانية ذائعة الصيت، ويقال إن جد هذه القبيلة ويدعى جلهمة، قد نشأ بواد باليمن، يقال له طريف [5]. ثم إنه رحل عن هذا الوادي في قصة طويلة يوردها العوتبي، وقد سمي طيئاً لطيه

1 - العوتبي، سلمة بن مسلم، الأنساب ج/١، ص: ٢٥٦.
2 - ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة ج/٣، ص: ٣١٧
3 - أبو عمرو بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب ج/٣ ص: ٤٤٦
4 - الفيروزآبادي مجد الدين محمد، القاموس المحيط، ج/١ ص:٢١٨.
5 - العوتبي المرجع السابق ج/١، ص:٢٤٦

المراحل مراغماً لقومه.

نشأ مازن بن غضوبة كغيره من فتية طيء بين قومه من بني خطامه في بلده سمائل، وسمائل هي إحدى العواصم الرئيسة والهامة في المنطقة الداخلية من عمان، كما يطلق عليها العمانيون اسم الفيحاء، وربما أتت هذه التسمية من اتساع وتناثر دورها، وأيضاً ما تمتاز به من نخيل باسقة، ومياه دافقة، وتكتسب سمائل أهمية خاصة من حيث توسطها بين المدن العمانية، فهي ملتقى طرق، ومحط قوافل تجوب البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

تعرفه على الدين الجديد:

درجاً على عادة العرب في الجاهلية، اتخذت العشيرتان المتجاورتان من بني خطامة وبني الصامت صنماً لهما تعظمانه وتقدسانه عرف باسم ناجر [1] فناجر هو المعبود الذي يتقرب إليه في السراء والضراء، والمشار إليه في الصغيرة والكبيرة، وكان من عادتهم أنه إذا ألم بأحدهم أمر ما تقدم بقربان بين يدي الصنم. ثم يتولى سادن الصنم سؤال الصنم. ولم يكن الصنم يجيب أو ينفعل، إلا أن القوم يعتقدون بقوة تأثيره على تلك الأقداح التي تدار أمامه، معقود بنواصيها الخير والشر، والأمر أو النهي.

كان مازن بن غضوبة هو سادن الصنم المكلف بمناجاته وسؤاله، وهو المقدم في طيء الذي طالما قصده المحتاجون، ورجاه السائلون لقربه من ناجر الإلهام المطاع، وربما ثارت في نفس مازن الظنون عن طبيعة هذا الحجر، وهل هو الضار والنافع؟ أم هل هو السميع المجيب؟ غير أن مازن وإلى حد قريب لم يكن ليثور على معتقدات الآباء وبواقي الأجداد.

وذات يوم تقدم مازن كعادته أمام ناجر، وجاء بقربانه الذي أعده له، علّه يفوز بالقبول والرضوان، وعلى غير عادته سمع مازن صوتاً ينبعث من ناحية الصنم، تبين منه الأبيات التالية:

يا مازن إسمع تسر ظهر خير وبطن شر
بعث نبي من مضر بدين الله الأكبر
فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر

تملك مازن الخوف والفزع بعد أن أمكن أذنيه برهة من الصوت الذي يخاطبه، إنه يبشره وينذره، يبشره بظهور خير ومبعث نبي، وينذره من التقرب إليه. كما كان يفعل. ومن حر سقر. عاد مازن إلى بيته في ذلك اليوم واجماً فزعاً، لا يكاد يصدق ما سمع، فالحجر يدعو إلى معبود سواه، وإنه دين الله

1 - ورد في لسان العرب باسم (باجر) راجع ج/٤، ص:٤١. "صنم للأزد ومن جاورهم من قضاعة وطيء"

الأكبر الذي يبشر به نبي من مضر، وحسبنا أن نتصور كيف جالت في نفس مازن الظنون، فلقد عبد هو وقومه ذلك الحجر أحقاباً عديدة، وقدموا له الإخلاص والوفاء، ثم ها هو يكاشف سادنه طالباً منه أن يدع عبادته محذراً إياه من مغبة ذلك، ربما لم يكن القربان الذي قدمه مازن لصنمه كما يستحق الصنم، ولعله ثار في نفسه هذا الستاؤل فتنازعه شعوران، شعور يجره ناحية الصنم ليجدد له الولاء والطاعة، وليتقرب إليه بأحسن ما تكون القربى، وشعور آخر يجره نحو البحث عن حقيقة الكلام الذي حملته تلك الأبيات، ويبدو لنا أن الشعور الأول هو الذي سيطر على فكر مازن، فقرر بعد طول فكر أن يعود للصنم بقربان آخر عله يكفر عنه ما سبق.

وفي اليوم الموعود، وقف مازن ثانية أمام ناجر، لقد عتر عتيرة أخرى، وها هو يتقدم بذبحه وهو واثق أنه سيحظى بالقبول والرضوان من جانب نحيته الحجري، كانت يداه ترتعشان على غير عادته، وكان ينتظر شيئاً ما، إلا أنه تقدم و وضع قربانه.

وفي لحظة من الصمت والترقب عاد ذلك الهاتف... نعم هو صوته الذي ما برح أذنيه منذ حين، وأرهف مازن السمع وأنصت ليسمع من جديد.

أقبل إلى أقبل ... تسمع ما لا يجهل
هذا نبي مرسل ... جاء بحق منزل
آمن به كي تعدل ... عن حر نار تشعل

وقودها بالجندل [1]

إن هذا لعجب قالها مازن نفسه، وهو يريد قول الهاتف ليحفظ ما ألقاه عليه، إنه البشير والنذير في عبارة جديدة يطلب فيها من مازن أن يؤمن بنبي مرسل، جاء بحق منزل، لينجو من نار توقد من حجارة مجتمعة، تيقن مازن هذه المرة، أن هناك خيراً يراد به، إذ لا تفسير لصوت الهاتف سوى ذلك.

نعم، لقد عبد هو وقومه هذا الصنم، ولكنه في لحظة تجلى فيها الحق وجد نفسه مستعداً للتخلي عن عبادة ناجر، وهو الذي ما فتيء يسدنه ويخدمه، فطالما تساءل عن حقيقة تلك العبادة، وهل هو إله حقيقي ذلك الذي يصنع بيد البشر، وينقل، ويلمس، كل ذلك وهو صامت لا ينطق ولا ينفعل.

لقد كان هذا الهاتف وغيره من الهواتف التي ظهرت في جزيرة العرب مصداقاً لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ودليلاً من دلائلها. وقد وردت قصص كثيرة. استمع عدد من النفر فيها إلى صوت يماثل صوت هذا الهاتف

---

1 - الجندل الموضع تجمع فيه الحجارة، الفيروزآبادي القاموس المحيط: ج/٣، ص:٣٦٣.

يبشر وينذر في آن معاً.

وبقدر ما جاء به هذا الهاتف بقدر ما صادف من استعداد فطري لتقبل ما دعا إليه ونها عنه. إنها لا شك حكمة ربانية، واكبت ميلاد الرسالة الخاتمة لتنير لها الطريق، وتهييء لها السبل.

ولم تك قلوب جميع من وقع بجانبهم صوت الهاتف عطشى لتلقي كنه العبودية الحقة، فبعضها قد داهمها الران، وطغى عليها ميراث الآباء، فباتت متبلدة فاترة. أما البعض الآخر من أمثال مازن. فقد أخذ منهم الصوت كل مأخذ، فيا له من استعداد فطري ذلك الذي قابلوا به صوت الهاتف، فأدركوا به الإشارة الربانية.

وقد حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس بحادثة مماثلة، فقال: والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت قط أنفذ منه، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعة، يقول: يا ذريح أمر نجيح، رجل يصيح، يقول لا إله إلا الله [1] ..

هذا، وقد ترددت أصداء هذه الهواتف في غير مكان معلنة قدوم نبي جديد، ودين جديد، يحول الكون من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الديان.

فهي من دلائل النبوة، ومعجزاتها الخالدة، التي آذنت بظهور الدين الخاتم، وانتشاره في مشارق العالم ومغاربه، ولنعد إلى خبر مازن، فقد شاء القدر أن يصل الدين الجديد إلى هذا القطر المطرف في جزيرة العرب قبل أن يقوم الفتح الكبير لدولة الإسلام، وقبل أن يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بإرسال الرسل لدعوة الدول المجاورة للدخول في حظيرة الدين الجديد.

لقد تمكنت دعوة الهاتف من نفس مازن، ولم يبق له سوى أن يؤكد ما سمعه، وما هي إلا أيام حتى سمع بمقدم رجل من أهل الحجاز فذهب يستطلع الخبر.

قال الحجازي: لقد خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله عز وجل يقال له أحمد [2].

وفي رواية أخرى، ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله، فلست بمتكبر ولا جبار، ولا مختال، ولا عصاء، أدعوكم إلى الله، وترك عبادة الأوثان، وأبشركم بجنة عرضها السماوات والأرض، وأستنقذكم من نار تلظى، لا يطفأ لهيبها، ولا

---

1 - ابن هشام السيرة النبوية ج/١، ص: ١٩٥.
2 - البيهقي، دلائل النبوة ج/٢، ص:٢٥٦.

ينعم ساكنها، هنا أدرك مازن أنه وقع على حقيقة ماحدثه به الصنم، لقد تبين الصواب، وفهم الجواب، وأيقن أن شمس الوثنية زائلة، وأن الكهانة فانية، فما عادت لتنفع بعد أن سطع نور الحق.

لقد حيا إيمانه الفطري من جديد، وعاد ليسكن عقله، وروحه، وقلبه، فقرر الرحيل إلى حيث مبعث النبوة، ومنبع الوحدانية، ليتزود عن قرب، فينهل من معينها بما يروي عطشه، ويشبع نفسه.

وقبل رحلة التوجه إلى الإيمان الصادق، كان لابد من إنهاء علاقة قديمة أورثها أياه ظلام الجاهلية، وعهد الوثنية، توجه مازن إلى ناجر، لا ليلقاه خاشعا متذللاً، كما كان يفعل، ولا ليتوسل إليه، ويطلبه كلما أقبل، ولا ليقدم القرابين كما هي عادته، ولكن ليهدم الباطل، وينصر الحق، فأمسك بناجر وقذف به، فتحطم أجذاذا وأنكسر، وبتكسره تبدد باطل ذميم، وماض قديم، لقد آن الآوان لكي يعبد الله من جديد في أرض العرب، وها هو مازن يمسك بزمام راحلته متوجها صوب الحجاز، إلى حيث الإشعاع السماوي والتهافت البشري.

لقاؤه بالرسول صلى الله عليه وسلم :

لم تحدد لنا كتب التاريخ فترة قدوم الصحابي مازن بن غضوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلانه إسلامه، وكل ما نعلمه أن ذلك كان في أول ظهور الإسلام بعمان [1]، ويرجع كاتب حديث زمن إسلام مازن على أنه قبل صلح الحديبية، حيث التقى بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأعلن إسلامه قبل ذلك الحديث بعام على الأقل [2].

ومهما يكن من أمر فإن الحدث تم بعد الهجرة وبالمدينة المنورة، ونستدل على ذلك من قول مازن في أبيات له:

إليك رسول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

فقد جاء في لسان العرب"إن العرج هو موضع بين مكة والمدينة، وقيل: هو على أربعة أميال من المدينة [3].

وقد وفد مازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عما بُعث به، فشرح له الإسلام، فنوّر قلبه للهدي فأسلم.

هذا، وقد جاءت رواية إسلام الصحابي مازن الطائي، كما أوردها البيهقي

1 - الشيخ نور الدين الساملي، تحفة الأعيان، ج/١، ص:٥٣.
2 - الدكتور رجب محمد عبد الحليم، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ص:١٥.
3 - ابن منظور لسان العرب ج/٢، ص: ٣٢٣.

في دلائل النبوة، فقد أخبر أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطان ببغداد، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد ابن يحيى بن عمر بن علي ابن حرب الطائي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة للهجرة، قال: حدثنا جدي أبو علي ابن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: لقيت أبا المنذر هشام بن محمد الكلبي فقال لي: ممن الرجل: فقلت من طيء، ثم قال لي: ثم ممن، قلت من ولد نبهان: قال ثم ممن، قلت من ولد خطامة، فقال لي: لعلك من ولد السادن، قلت نعم! فأكرمني، وأدناني، وقربني، ثم قال لي: كنت لقيت شيوخاً من شيوخ طيء المتقدمين فسألتهم عن قصة مازن، وسبب إسلامه، و وفوده على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإقطاعه أرض عمان، وذلك بمن الله وفضله فأخبروه الخبر [1]، كما أشارت المصادر إنه يحتمل أن أبا المنذر المشار إليه قد نقل الخبر عن أبيه عن شخص يدعى عبد الله العماني عن مازن بن العضوبة.

ولم يكتف مازن بإعلان إسلامه، بل شكى للرسول صلى الله عليه وسلم حاله وحال قومه، فقال مما قاله: يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر لجوح بالنساء، وألحت علينا السنون فأذبن الأموال وأهزن الذراري والرجال، وليس ولد، فأدوع الله أن يذهب عني ما أجد، ويأتيني بالحيا، ويهب لي ولدا.

فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم، قائلا: اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالعهر عفة الفرج، وبالخمر ريا لا إثم فيه، أته بالحيا، وهب له ولداً.

قال مازن: فأذهب الله عني ما كنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب.

كما طلب مازن من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يدعو لأهل عمان فأجابه قائلا: اللهم اهدهم وأثبهم، فقال مازن، زدني يا رسول الله فقال: اللهم أرزقهم العفاف والكفاف والرضى بما قدرت لهم، قال مازن: يا رسول الله، البحر ينضح بجانبنا، ادع الله في ميرتنا وخفنا وظلفنا، قال: اللهم وسع لهم وعليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم، قال مازن: زدني قال: لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم، قل يا مازن أمين، فإن آمين يستجاب عنده الدعاء [2].

وحيث عاد مازن بعد هذا اللقاء ظافراً غانماً إلى عمان، فقد توجه هذه الصحبة بلقاء آخر معه صلى الله عليه وسلم بعد عام من لقائه الأول، فقد وفد مازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عام من إسلامه ومكوثه في عمان،

1 - البيهقي دلائل النبوة، ج/٢، ص:٢٥٥.
2 - العتبي، الأنساب، ج/١، ص: ٢٥٧.

فقال له: يابن المباركين، الطيب بدينك، قد أخصبت عمان خصباً، هنيئاً، وكثرت الأرباح والصيد بها، فقال عليه السلام: ديني دين السلام، وسيزيد الله أهل عمان خصبا وصيداً، فطوبى لمن آمن بي ورءاني، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني، وطوبى ثم طوبي، لمن آمن بي ولم يرني، ورأي من رآني، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي، ولم ير من رآني، وسيزيد الله أهل عمان إسلاما (1).

ولعل مازن بن غضوبة في لقائه الثاني قد جاء ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول قومه في الدين الجديد، وتحقق دعوته له وقومه، كما يحتمل أنه عاد ليحج، فكان لقاؤه به عليه السلام حيث ذكر هو نفسه أنه حج حججاً (2).

وقد كان صحبة مازن للنبي صلى الله عليه وسلم كافية ليأخذ منه ويحدث عنه، لقد جاء في حديث أخرجه ابن السكن ومحمد بن خلف المعروف بوكيع في نواد الأخبار وابن مندة وأبو نعيم من طريق الحسن بن كثير عن يحيى بن أبي كثير عن أبيه، سمعت مازن بن الغضوبة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى الجنة، قال ابن مندة، غريب لا يعرف إلا بهذا الإسناد (3).

وقد صور الصحابي مازن الطائي رحلته إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات رائعة حيث قال:

إليك رسول الله خبت مطيتي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصى ... فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج*
إلى معشر خالفت في الله دينهم ... فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي
وكنت امرءاً باللهو والخمر مولعاً ... شبابي حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلني بالخمر خوفاً وخشية ... وبالعهر إحصانا فحصن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي ... فلله ما صومي وللّه ما حجي

كما قال:

كسرت ناجر أجذاذاً وكان لنا ... ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ... لم يكن دينه مني على بال
يا راكبا بلغن عمرا وإخوتها ... إني لمن قال ربي ناجر قالي

☆☆☆

1 - المرجع السابق ج/1، ص: 258.
2 - ابن عبد البر القرطبي الاستيعاب في أسماء الأصحاب ج/3، ص: 446.
3 - ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج/3، ص: 317.
* الفوز.

المقداد بن الأسود: أول فرسان الإسلام

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد بلاسي
أكاديمي خبير دولي، عضو اتحاد كتاب مصر

أعزه الله بالإسلام، فوهب نفسه له، وصدق ما عاهد الله عليه، فما كاد ينضم إلى الركب المحمدي - في أول غزوات الإسلام - حتى عدا به فرسه في سبيل الله؛ فعد بذلك أول فارس في الإسلام، وصار مثلا يضرب للبطولة والإقدام..!!

حمل لواء الدعوة الإسلامية منذ مهدها الأول في المدينة وظل يسقيها بدمه، ويغذيها بفكره الراجح - طوال حياته - حتى نمت، وترعرعت، وأثمرت وآتت أكلها على يديه في الفتوحات الإسلامية، لذلك وجدنا الله يحبه، ويأمر رسوله الكريم بأن يحبه ..!!

ذلكم هو الصحابي الجليل: "المقداد بن الأسود" أول فرسان الإسلام.. فهيأ نعش معه، ونستمتع به، ونعتبر من مواقفه وأعماله وبطولاته :

أولاً: المقداد .. نشأته وحياته:

أ - نسبه ونشأته :

نسب "المقداد" رضي الله عنه - إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد المناف بن زهرة الزهري، لأنه كان قد تبناه في الجاهلية، وألحقه به، فقيل له: "المقداد بن الأسود" نسبة لذلك.. أما نسبه الحقيقي فهو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود الحضرمي..

قال العلامة الزركلي عنه: هو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، وكان أبوه "عمرو بن ثعلبة" قد أصاب دما في قومه، فلحق بحضرموت، وهناك تزوج وأنجب "المقداد" فلما كبر "المقداد" وقع بينه وبين "أبي شمر بن حجر الكندي" خصام، فضرب "المقداد" رجل أبي شمر" بالسيف وهرب إلى "مكة" وهناك حالف "الأسود بن عبد يغوث" فتبناه "الأسود".

وصار منذ ذلك الوقت يعرف بـ "المقداد بن الأسود"، وغلبت عليه هذه التسمية، فأصبح لا يعرف إلا بها، فلما نزل قول الله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ} [الأحزاب:5] عاد ليتسمى باسمه الأصلي "المقداد بن عمرو" إلا أن الشهرة - التي كان يعرف بها من قبل - ما زالت غالبة ..

ب - إسلامه :

ما كاد "المقداد" يتعرف على الإسلام، ويسمع عن تعاليمه السمحة: حتى أخذ يبحث عن الحقيقة، ويطلب الحرية، ولكنها ليست حرية الاسترقاق، فقد كان حراً طليقاً !! إذن فأي حرية كان يريدها صاحبنا ؟!!

كان "المقداد" ينشد حرية لعقله من تلك الأغلال الثقيلة التي فرضت عليه عبادة الحجارة، وما لبث أن وجد ضالته المنشودة في الإسلام، فاعتنقه عن علم

ويقين، وسارع للحاق بركب الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة . ولكنه لم يقدر على الهجرة ظاهرا .

فتحين "المقداد" فرصة خروج جيش المشركين من قريش . في السنة الثانية من الهجرة . والذي كان خارجا لملاقاة سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان قد بعث فيها "عبيدة بن الحارث" إلى (ثنية المرة)، فأتي "المقداد" متخفيا مع جيش المشركين، وفي ذلك اليوم دارت مناوشات بين الطرفين غير أنه لم يكن هناك قتال، سوى أن "سعد بن وقاص رضي الله عنه، رمي يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله، وغافل "المقداد" المشركين . في ذلك اليوم . وهرب منهم، وانحاز إلى جيش المسلمين.. ومنذ ذلك الوقت، صار "المقداد" رضي الله عنه جنديا من جنود الحق، ذا مكانة سامية في المجتمع الإسلامي ..

ج- مكانة "المقداد" بين أصحابه :

كان "المقداد" رضي الله عنه يتمتع بمنزلة رفيعة بن أصحابه رضوان الله عليهم جميعا، لما عرف عنه من رجاحة في التفكير، وحكمة في التدبير، وشجاعة متناهية النظير، مما جعل أصحابه ينظرون إليه نظرة ملؤها الإعجاب والتقدير والمحبة!! وليس من عجب في هذا، فلقد أحبه الله، وأمر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بأن يحبه، فيروي قطر بن خليفة عن كثير بن إسماعيل عن عبد الله بن سليل عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله . عز وجل . أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي .

ويظهر أثر هذا الحب جليا من معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للمقداد، وتقدير الصحابة له، فها هو ذا النبي صلى الله عليه وسلم يزوجه بابنة عم له تسمى "ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب" لكي يقربه إليه، كذلك الصحابة يتخذون "المقداد" قدوة لهم في كثير من الأمور، ويتمنون أن يكونوا أصحاب تلك المواقف البطولية النبيلة التي عايشها "المقداد" وعالجها بنفسه، وهذا هو شأن النجباء النبلاء الخيار..!!

ثانيا : المقداد .. الدعوة الإسلامية

أ- حب "المقداد" للدعوة الإسلاميه :

كان حب "المقداد" رضي الله عنه للدعوة الإسلامية عظيماً، وكان إلى جانب ذلك واعيا حكيما، والحب حين يكون عظيما وحكيما يجعل من صاحبه إنسانا عليا لا يجد غبطة هذا الحب في ذاته، بل في مسؤولياته، والمقداد ابن عمرو من هذا الطراز .

فحبه للرسول صلى الله عليه وسلم ملأ قلبه وشعوره، فلم تكن تسمع صيحة أو فزعة في المدينة إلا ويكون، "المقداد" . في مثل لمح البصر . واقفا على

باب الرسول صلى الله عليه وسلم ممتطياً فرسه ممتشقاً مهنده وحسامه!!

وحبه للإسلام ملأ قلبه مسؤولياته عن حماية الإسلام.. ليس فقط من كيد أعدائه بل ومن خطأ أصدقائه فلم يكن يخشى في الله لومة لائم، يعرف الحق فيصر عليه حتى يعطيه لصاحبه، فقد خرج "المقداد" يوما في سرية تمكن العدو فيها من حصارهم، فأصدر أمير السرية أمره بأن لا يرعى أحد دابته، ولكن أحد المسلمين لم يحط بالآخر خبرا فخالفه، فتلقى من الأمير عقوبة أكثر مما يستحق، أو لعله لا يستحقها على الاطلاق، فمر"المقداد" بالرجل يبكي ويصيح، فسأله المقداد: ما شأنك؟ فذكر الرجل له قصته، عندئذ تقلد"المقداد سيفه وانطلق مع الرجل حتى انتهيا إلى الأمير، وراح" المقداد" يناقش الأمير حتى كشف له خطأه، وقال له: والآن أقدره من نفسك، ومكنه لأن يقتص منه الجندي، وأذعن الأمير، بيد أن الجندي عفا وصفح، فانتشى"المقداد" عظمة الموقف، وبعظمة الدين الذي أفاء عليه هذه العزة، فراح يقول وكأنه يغني: "لأموتن والإسلام عزيز...!!

أجل: تلك كانت أمنيته أن يموت والإسلام عزيز، فلقد ثابر مع المثابرين على تحقيق هذه الأمنية مثابرة باهرة جعلته أهلا لأن يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله أمرني بحبك، وأنبأني أنه يحبك"....!!

ب- المقداد.. والفتوحات الإسلامية :

فمع كونه . رضي الله عنه، قد حضر المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، إلا أنه لم يتخلف حتى عن الفتوحات الإسلامية دون أن يرمي فيها بسهمه الصائب وفكره الراجح .

وكان مما ذهب إليه (مصر) مع الفاتحين بقيادة:"عمرو بن العاص" فلقد بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع المدد الذي أرسله لعمرو بن العاص عند فتحه لمصر، وذلك حينما أبطأ الفتح على "عمرو" فكتب إلى"الفاروق" بأن يمده . فأمده "الفاروق" بأربعة آلاف جندي، على رأس كل ألف منهم رجل مقام الألف . على حد تعبير، "عمر الفاروق رضي الله عنه، من بينهم صاحبنا "المقداد بن الأسود"..!

هكذا كان للمقداد رضي الله عنه الدور اللامع في فتح مصر.. ليس ذلك فحسب، بل قام بدور بارز في عمرانها وتشييد مساجدها.

ولم يقف الأمر بهذا الصحابي الجليل عند هذا الحد، بل شارك في الفتوحات الإسلامية التي خرجت من مصر، فلقد اشترك مع"معاوية بن أبي سفيان" حينما غزا بلاد الروم، و وصل إلى حسن "المرآة" من أعمال "ملطية" وفتحه... كما أنه اشترك مع "عبد الله بن سعد بن مسرح " في فتح أفريقيا. وظل على هذا الحال من المشاركة في الفتوحات الإسلامية دون ما فتور أو تراخ، إلى أن وافاه الأجل المحتوم، فكانت . بحق . حياته كلها ملحمة بطولة وجهاد ونضال من أجل الإسلام ..!!

ثالثا : مواقف وبطولات

أ- المقداد يوم بدر :

يعتبر "المقداد بن الأسود" رضي الله عنه من المبكرين بالإسلام وسابع سبعة جاهروا بإسلامهم وأعلنوه، حاملا نصيبه من أذى قريش ونقمتها في شجاعة الرجال، وغبطة الحواريين ..!

ولسوف يظل موقفه يوم "بدر" لوحة رائعة تمنى كل من رءاه لو أنه كان صاحب هذا المواقف العظيم ..!!

يقول عبد الله بن مسعود: "لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما في الأرض جميعا.. !!

في ذلك اليوم الذي بدأ عصيباً، حيث أقبلت قريش في بأسها الشديد، وإصرارها العنيد، وخيلائها وكبريائها، وفي ذلك اليوم والمسلمون قلة لم يمتحنوا من قبل في قتال من أجل الإسلام، فهذه أول غزوة لهم يخوضونها .

و وقف الرسول صلى الله عليه وسلم حين يطلب المشورة والرأي، فإنه يعلمون علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في أمر القتال، وأصحاب الرسول يفعل ذلك حقا، وإنه يطلب من كل واحد حقيقة إقناعه، وحقيقة رأيه . فإن قال قائلهم رأياً يغاير رأي الجماعة ويخالفها فلا حرج عليه ولا تثريب..!

ولقد خشي "المقداد" أن يكون بين المسلمين من له بشأن المعركة تحفظات، وقبل أن يسبقه أحد بالحديث همّ هو بالسبق ليصرع بكلماته القاطعة شعار المعركة، ويسهم في تشكيل ضميرها، ولكن قبل أن يحرك شفتيه كان "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه، قد شرع يتكلم، فاطمأن، "المقداد" كثيرا .. وقال: "أبو بكر" فأحسن، وتلاه "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، فقال وأحسن ..

ثم قام "المقداد بن الأسود فقال: "يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إمض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى :{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}[المائدة:٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالله الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك، حتى يفتح الله لك" .

انطلقت كلمات" المقداد بن الأسود" مدوية وكأنها رصاص مقذوف، وتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وأشرق فمه عن دعوة صالحة دعاها للمقداد.. وسرى في الحشد الصالح المؤمن حماس الكلمات الفاضلة التي أطلقها "المقداد بن عمرو" والتي حددت بقوتها وإقناعها نوع القول لمن أراد قولا ، وطراز الحديث لمن يريد حديثا..!!

أجل: لقد بلغت كلمات "المقداد" غايتها من أفئدة المؤمنين، فقام "سعد بن

معاذ" - زعيم الأنصار - وقال: "يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عبد اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله".. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول "سعد" ونشطه ذلك، ثم قال:"سيروا وأبشروا" فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفين - العير أو النفير - والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم".

إن كلمات "المقداد بن الأسود" التي مرّت بنا من قبل، لا تصور لنا شجاعته فحسب، بل تصور لنا حكمته الراجحة وتفكيره العميق، وهكذا كان "المقداد" رضي الله عنه في جميع أموره .

والتقى الجمعان في ذلك اليوم، وكان فرسان المسلمين ثلاثة ليس غير: "المقداد بن الأسود" ومرثد بن أبي مرثد، والزبير بن العوام، بينما كان بقية المجاهدين مشاة أو راكبين إبلا.. غير أن "المقداد" - يومئذ - كان أول من عدا به فرسه في سبيل الله، فعد بذلك أول فرسان الإسلام".!!

ب – موقف المقداد من الإمارة :

ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى الإمارات، يوماً فلما رجع سأله النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف وجدت الإمارة؟ فأجابه:"لقد جعلتني انظر إلى نفسي، كما لو كنت فوق الناس، وهم جميعا دوني، والذي بعثك بالحق، لا أتأمرن على اثنين بعد اليوم أبداً"..!!

ألا وقد كان، فقد كان دائماً ينكر الإمارة، ويرفض أن يكون أميراً حتى في الصلاة !! إذا لم تكن هذه هي الحكمة من تركه للإمارة، فماذا تكون؟ ! وإذا لم يكن هذا هو الحكيم، فمن يكون؟! رجل لا يخدع نفسه، يلي الإمارة فيخشى على نفسه الزهو والرفعة على الناس، ويكشف في نفسه هذا الضعف، فيقسم ليجنبها مكانه، ويرفض الإمارة بعد تلك التجربة ويتحاشاها، ثم يبر بقسمه فلا يكون أميرا بعد ذلك أبدا..! ولعل الذي جعله كذلك وشجعه على هذا حديثا سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطالما كان يردده "المقداد" وهو:" إن السعيد لمن جنب الفتن" وإذا كان صاحبنا قد رأي في الإمارة زهوا يفتنه، فإن سعادته - إذن - في تجنبها ..

هذه هي نظرة "المقداد" رضي الله عنه للإمارة، تتألق حكمة وفطنة، وفي كل مواقفه وتجاربه وكلماته كان الأريب الحكيم ..

ج- صمود في الحق :

لعل أعمال "المقداد" جميعها كانت ترجمة لذلك، فقد كان رضي الله

عنه يحب الحق، ويهوى العدل، ولا يخشى فيهما لومة لائم، مهما كلفه ذلك من صعاب، حتى تسير الحركة الإسلامية على خير ما يرام ..!!

وخير ما يصور ذلك، ما أخرجه الإمام البخاري، ومسلم، والترمذي من طريق أبي معمر قال: قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل "المقداد" رضي الله عنه يحثي التراب على وجه الرجل، وقال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثي في وجوه المداحين التراب ..!!

هكذا كان صمود" المقداد" رضي الله عنه في الحق، كذلك موقفه من الأمير والجندي - الذي ذكرناه آنفا - يعتبر صورة حية لذلك.. من هنا، كان "المقداد" قويا في الحق، حكيما في استخدامه، ولم تكن حكمته تعبر عن نفسها في مجرد كلمات، وإنما كانت تعبر عن نفسها في مبادئ نافذة، وسلوك قويم مطرد ..

رابعا: نهاية .. وعبر :

بعد حياة طويلة حافلة بالجهاد والبطولات، والمواقف النبيلة التي تستحق كل إعجاب وتقدير، مات "المقداد بن عمرو رضي الله عنه، وإن كان قد مات بجسمه - شأن جميع الخلائق - إلا أن أعماله وبطولاته وذكراه لم تمت ؟!!

(فالذكر للإنسان عمر ثان)..!!

ولقد تضاربت الآراء حول سنة وفاة هذا الصحابي الجليل، ومكان موته، إلا أن أقرب الآراء إلى الصحة ما رواه "ابن الجوزي" عن أهل السير قولهم: "شرب" المقداد دهن الخروع فمات، وذلك بالجرف - علي بعد ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع، وصلى عليه الخليفة الراشد الثالث"عثمان بن عفان" رضي الله عنه، وذلك في سنة ثلاثة وثلاثين وتوفى "المقداد" رضي الله عنه وهو ابن سبعين سنة أو نحوها...

وعلى أية حال، لا يعنينا معرفة مكان موت هذا الصحابي الجليل، أو سنة وفاته، بقدر ما يهمنا معرفة مواقف هذا الفارس المغوار، و دوره في الدعوة الإسلامية، والسلوك العام، كي نقلده، فيما كان يفعله .

وبذلك نسعد كما سعد الأوائل، ونطمئن كما اطمأنوا، وتعود للإسلام هيبته من جديد، عزة لا تهادن، وشجاعة لا تجور، وعزماً لا يخور، وحضارة لا تبلي{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}[المنافقون:٨] فرضي الله عن هذا الصحابي الجليل، وعن صحابته النجباء، جزاء ما قدموا للإسلام، وأسكنهم فسيح جناته مع الذين{أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً}[النساء:٦٩ : ٨] .

جهود العلماء الهنود في المعجمية العربية

الأستاذ قمر شعبان الندوي
(المحاضر الضيف، مركز الدراسات العربية والإفريقية كلية الألسن، جامعة جواهرلال نهرو ، دلهي (الهند)

لم تكن اللغة العربية في بلاد الهند غريبة في وقت من الأوقات، وفي زمن من الأزمان، إن المسلمين الهنود حتى الهندوس ظلوا متوجهين إلى تلقي هذه اللغة منذ زمن سحيق، وجاءت جهودهم بثمار طيبة في كل عصر، وأنجزوا أعمالا في الدراسات الإسلامية والعربية، وألفوا كتبا بالعربية في الحديث والفقه والمنطق واللغة وأدب الأطفال، وتوجهوا بالخصوص إلى ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الهندية المختلفة، فالهنود لما عنوا بهذه الأعمال الجليلة كانوا طبعا محتاجين إلى معاحم عربية تكفي لحاجاتهم اللغوية في ألسنتهم الوطنية والمحلية، فقد أنجبت الهند منذ قديم معجميين كبارا لم تعرفهم الهند فحسب، إنما اشتهرت منتوجاتهم على نطاق واسع عالمي، فها هو ذا رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني(ت ٦٥٠ هـ)(١) مؤلف :"العباب الزاخر واللباب الفاخر" ومحمد طاهر (ت ٩٨٦هـ) (٢) صاحب : "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار" وها هو ذا العلامة مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) (٣) مؤلف: "تاج العروس من جواهر القاموس"، وصاحب"التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة"، والقاضي محمد أعلى التهانوي (ت ١١٩١هـ/١٧٧٧م) (٤) صاحب:"كشاف اصطلاحات الفنون"، وهناك طائفة من العلماء الذين ساهموا في الصناعة المعجمية العربية، وهم معروفون على المستوى العالمي .

وإنني في هذا البحث لا أعالج إنتاجات هؤلاء المذكورين أعلاه لشهرتهم في الأوساط العلمية والأدبية عبر العالم، وإنما أنا أركز دراستي على المعاجم العربية الأخرى التي حقا إثراء عظيم في مكتبات المعاجم العربية، إذ هناك معاجم عربية - أردية، ومعاجم عربية - عربية، ومعاجم عربية - هندية، ومعاجم عربية - إنكليزية، وغيرها من المعاجم العربية التي جاءت في حيز الوجود في لغات محلية، ولهجات شعبية هندية مختلفة من اللغات التلغوية، والبنغالية، والميالية، وما إلى ذلك .

فتكون دراستي مركزة على تحليل بعض المعاجم منها: وهي على النحو المذكور أدناه :

عربي - أردي:

١- بيان اللسان (عربي - أردي) لزين العابدين سجاد الميرتهي .

٢- قاموس القرآن (لزين العابدين سجاد الميرتهي) .
٣- القاموس الاصطلاحي لوحيد الزمان الكيرانوي .
٤- القاموس الجديد لوحيد الزمان الكيرانوي .
٦- مصباح اللغات لعبد الحفيظ البلياوي (هذا من أشهر المعاجم في الهند في أوساط الطلاب والأساتذة من المدارس والكليات الإسلامية والعصرية، يحوي أكثر من ٥٠ ألف مادة).

أردي. عربي :

٦- أردو عربي دكشنري لعبد الحفيظ البلياوي .
٧- المعجم لمجموعة من المؤلفين .
٨- القاموس الاصطلاحي لوحيد الزمان الكيرانوي .
٩- القاموس الجديد للكيرانوي .

عربي. إنكليزي:

١٠- قاموس ألفاظ القرآن الكريم(Vocabulary of the Holy Qur'an).للدكتور عبد الله عباس الندوي .

خمسة أنماط للمعاجم العربية :

إن المعاجم العربية المتواجدة في اللغة العربية تجري على خمسة أنماط، وهي على أساس خمس مدارس معجمية عربية وهي :

١- مدرسة الترتيب الصوتي: أسسها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب "العين").
٢- مدرسة الجمهرة:. لأبي بكر بن دريد في جمهرة اللغة .
٣- مدرسة التقفية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في تاج اللغة وصحاح العربية .
٤- مدرسة الترتيب الألفبائي على المادة الأصلية المجردة: لمحمود بن عمر الزمخشري في كتابه: أساس البلاغة .
٥- مدرسة الترتيب الألفبائي الكامل على منطوق الكلمة: وهذه المدرسة تجري على نمط المعاجم الإنكليزية .

فلا نجد في الهند معاجم عربية على نمط مدرسة الترتيب الصوتي للخليل بن أحمد الفراهيدي، ولا على مدرسة الجمهرة، إنما المعاجم التي ألفت في الهند أغلبها على نمط مدرسة الترتيب الألفبائي على المادة الأصلية المجردة، وبعضها على مدرسة التقفية للجوهري، كمثل "العباب الزاخر واللباب الفاخر" للصغاني، وهناك معاجم ألفت على أساس المدرسة الخامسة أيضا، فهذا وذاك أتقدم في التالي بدراسة بعض المعاجم العربية التي أنجزها العلماء واللغويون الهنود لكي يظهر للناس ما بذل الهنود من جهود في الدراسات اللغوية، وما هو معيارهم في ذلك .

بيان اللسان :

"بيان اللسان" معجم (عربي - أردي) أنجزه القاضي زين العابدين سجاد الميرتهي، يتضمن هذا المعجم في طياته تقريبا ٣٠ ألف كلمة من القديمة والحديثة مع بيان شرحها والإفادات الضرورية المتعلقة بها، وأما الكلمات التي جاءت في غضون هذا المعجم فهي مأخوذة من كتب الدرس النظامي، وكتب المقررات الدراسية في الجامعات الإسلامية والعربية في الهند وخارجها، بالإضافة إلى الكلمات التي طالما وردت في المؤلفات الجديدة والمجلات والجرائد والصحف العربية، الصادرة في البلدان العربية وغير العربية، كما ويتناول المعجم الكلمات الواردة في القرآن الكريم مع شرحها وتوضيح أبنيتها .

ويتكون هذا المعجم من مقدمة، كتبها المقرئ محمد طيب (٥) بالأردية وسماها: "طيب البيان في تقريظ بيان اللسان" .

يقع المعجم في ٨٩٨ صفحة، طبع في المكتبة العلمية قاضي واره في ميرت بالولاية الشمالية الهند عام ١٩٧٠م .

قاموس القرآن :

المعجم القرآني (عربي - أردي) ألفه القاضي زين العابدين سجاد الميرتهي، يتضمن المفردات القرآنية، رتبها على الترتيب الألفبائي بدون رد الكلمة إلى الأصل، والمؤلف فيه أورد الكلمة من القرآن ثم بين ماضيها ومضارعها ومصدرها ومعناها، وإن كانت الكلمة اسما، ذكر جمعها أو مفردها، وقد أشبع الكلام عن أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الواردة خلال الآيات القرآنية كما اعتنى بذكر المآخذ التي استفاد منها .

وحقا هذه محاولة مشكورة مفيدة للناطقين باللغة الأدرية لفهم مفردات القرآن الكريم، وقد أشاد بالكتاب العلماء الكبار في الهند، أمثال: الشيخ محمد إعزاز علي (مدير الشؤون التعليمية بدار العلوم ديوبند سابقا) والمقرئ محمد طيب (عميد دار العلوم ديوبند سابقا) والمفتي محمد شفيع العثماني (صاحب تفسير القرآن الكريم الأردي باسم "معارف القرآن" ورئيس دار العلوم كراتشي الأسبق) والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، والدكتور ذاكر حسين (رئيس جمهورية الهند سابقا، وشيخ الجامعة الملية الإسلامية بالهند) وغيرهم من العلماء والأدباء واللغويين .

يقع الكتاب في ٨٠٠ صفحة، صدرت له طبعات بالهند وباكستان، وهذه هي الطبعة الثالثة من المكتبة العلمية قاضي واره ميرت بالهند عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

القاموس الجديد (عربي. أردي):

ألفه الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي رحمه الله، يحمل هذا المعجم في طياته أكثر من خمسة عشر ألف مادة عربية مع شرحها بالأردية، والمادة التي

جاءت فيه هي من حقول مختلفة من الطب والهندسة والسياسة والصحافة وعلوم الطبيعة والأدب.. والمؤلف أنجز هذا العمل - كما اعترف بذلك - (٦) على أساس "القاموس العصري" (عربي إنكليزي) لإلياس أنطون إلياس، بل هو ملخص هذا القاموس العصري مع تعديلات بسيطة، كما استفاد من "المعجم الإنكليزي - الأردي) لعبد الحق في تعيين المصطلحات والكلمات ومدلولاتها المختلفة، وكذلك انتهل من "المنجد" في تحديد الصلات والصيغ الصرفية والاشتقاقات المختلفة للمادة.

ولكنه لم يعتن ببيان القواعد المعجمية والصرفية في بداية الكتاب تمهيداً وتسهيلاً لاستخدامه كما هي عادة المعجميين في معاجمهم، إذ هم يكثرون الكلام في ذلك، ويعتنون ببيان طرق كتابة الهمزة، والأبواب والملحقات للأفعال المجردة والمزيد فيها، فالمعجم إن لم يكد يغني عن عامة قراء اللغة العربية، ولكنه إلى حد كبير يفيد الطلاب والمترجمين في بلاد تنطق فيها الأردية.

رموزه:

أما الرموز التي استخدمها المؤلف فيه فهي على النحو المذكور أدناه:

- للإشارة إلى علاقة الكلمة بالكلمة السابقة.

(مع) مخفف "معرب" يعني الكلمة غير الأصل العربي.

د- دلالة على "الدارجة".

- ُ (ضمة) للدلالة على باب نصر.
- َ (فتحة) (٧) دلالة على بابي فتح وسمع.
- ِ (كسرة) على باب ضرب.

ج- الجمع

د- الواحد

الشيء وكذا- لتوضيح الفاعل أو المفعول أو الإضافة.

يقع هذا القاموس في ٩٧٥ صفحة، صدرت له عشرات الطبعات في الهند وباكستان، وهذه هي الطبعة التي صدرت في دلهي بالهند عام ٢٠٠١م.

وللمؤلف نفسه معجم من الأردية إلى العربية بنفس الاسم "القاموس الجديد" مرتب على نفس الترتيب، وعدد صفحاته ١١٣٢ صفحة، يتضمن أكثر من ٢٠ ألف كلمة أردية مع شرحها بالعربية.

مصباح اللغات (عربي-أردي):

التمهيد:

على طلاب المدارس والجامعات الإسلامية في الهند فضل كبير لهذا المعجم بل هذا القاموس (العربي - الأردي) يحتل مكانة "القاموس" لاستيعابه الكمية الهائلة للكلمات العربية، وشرح معانيها، وبيان مدلولاتها التي تعدادها يزيد على ٥٠ ألف كلمة، وهو أكثر المعاجم طباعة وانتشاراً في الهند، لإفادته

الواسعة، ولطريقة استخدامه الميسورة، ولشرحه الكلمات العربية بالأردية السهلة المفهومة، ولتناوله الكلمات العلمية والأدبية التي طالما وردت في كتب المقررات الدراسية من التفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ وغير ذلك.

فقد ساد هذا المعجم في المراكز التعليمية العربية الإسلامية في الهند، فوددت أن أتحدث عنه، وعن أسباب ترتيبه، وطريقة شرحه للكلمات بقدر من التفصيل.

خلفية تأليف الكتاب:

ذكر المؤلف أنه حينما كان مدرساً في مدرسة مصباح العلوم بمدينة "بريلي" في ولاية أترابراديش بالهند طلب منه تلاميذه وبعض أساتذة هذه المدرسة أن يعد معجما عربيا - أرديا يكفيهم لحاجاتهم المعجمية في الهند، وخاصة لفهم الكتب الأدبية والإسلامية من القرآن الكريم وتفسيره، والحديث والفقه، والكتب العربية الأخرى التي كانت داخلة في المقررات الدراسية في المدارس والجامعات الإسلامية العربية في الهند، ثم أصروا على ذلك فتبادر المؤلف إلى إنجاز هذا العمل الجليل المتعب.

وأما المعجم العربي الذي اتخذه أساساً لهذا العمل هو: "المنجد" للأب لويس معلوف، ثم استمد من المعاجم العربية الكبيرة الأخرى أمثال:

"لسان العرب" لابن منظور، و"تاج العروس من جواهر القاموس" للزبيدي، و"جمهرة اللغة" لابن دريد، و"أساس البلاغة" للزمخشري، و"المخصص" لابن سيده، و"مفردات القرآن" للراغب الأصفهاني، و"النهاية" لابن الأثير، والمعاجم العربية الأخرى الموثوق بها.

واستفاد كثيرا في إنجاز هذا العمل من الحكيم صديق أحمد الأمروهوي، والأستاذ عبد القديم (٨) والأستاذ الفاضل جليل أحسن الندوي، فإنهم على حد تعبير المؤلف أفادوه بآرائهم، وبالكتب اللغوية التي كانوا يمتلكونها، ومن علومهم التي يحملونها عن المعجميات واللغويات.

والمؤلف قد أحس شديداً بصعوبة نقل لغة إلى أخرى قبل الخوض في هذا المحيط، فقال: "نقل لغة إلى أخرى، ما أصعب ذلك؟ لا يمكن أن يشعر به إلا من اشتغل بهذه العملية.

فلا يطيق أن يقوم بها إلا من هو خبير باللغتين، لغة المصدر، ولغة الهدف، ويكون مطلعا اطلاعا واسعا على أدب اللغتين، فإني مع هذا الإحساس الشديد بدأت إعداد هذا المعجم"(٩).

وفي كم مدة أنجز تأليف هذا المعجم لم يذكره بالتأكيد إلا أنه صرح بأنه بعد سنوات كثيرة فرغ من تأليفه.

وجه تسمية المعجم:

بدأ المؤلف تأليف هذا المعجم حينما كان مدرساً في مدرسة مصباح العلوم بمدينة "بريلي" بالهند، فنسبة إلى هذه المدرسة أشار عليه بعض الكبار بأن

يسميه بهذا الاسم، فقد أسماه:"مصباح اللغات" (١٠) .

الطبعة الأولى له :

كما يبدو من كلمة المؤلف أنه أنجز هذا العمل خلال أربعينيات القرن العشرين، وصدرت له الطبعة الأولى من مكتبة برهان لندوة المصنفين في دلهي، باعتناء مديرها المفتي عتيق الرحمن العثماني، وذلك في غرة الخمسينيات، كان المؤلف عند استهلال هذا العمل أستاذاً في المدرسة التي سبق ذكرها الآن، ولكنه بعد ذلك غادرها إلى دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، فعند إتمامه كان أستاذ الأدب العربي بها (١١) .

ثم تلت له طبعات من ديوبند على التواصل، وإلى الآن خرجت له عشرات الطبعات من مكتبات هندية كثيرة .

أردي. عربي دكشنري:

هذا المعجم يسمى بـ " أردو عربي دكشنري "(المعجم الأردي ـ العربي) ألفه الأستاذ عبد الحفيظ البلياوي في المنتصف الأول لخمسينات القرن العشرين، وذلك ١٥/مارس ١٩٥٤م، وكان المؤلف آنذاك أستاذ الأدب العربي في دار العلوم ندوة العلماء، لكناؤ بالهند .

استهل المؤلف هذا المعجم ببيان بعض قواعد التذكير والتأنيث، ثم جاء بكلمات تستخدم في العربية على وجه الكنية، ولها معان خاصة عادية مثلا: بنت العين في معنى الدمع، ابنة الجبل في معنى الصدى والرنين، وابن أرض في معنى الغريب والمسافر، وهلم جرا، وقد رتبها على الترتيب الألفبائي، وبعد ذلك شرع في شرح الكلمات الأردية بالعربية، لم يعن فحسب بذكر المعنى، بل أتى بالمفرد وجموعه إن تعددت، وفيه الأسماء والأفعال والحروف .

قدم له سماحة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي إذ بيّن في كلمته أهمية المعاجم، وأشاد بهذا الجهد الذي بذله المؤلف، وذكر أن لهذا الكتاب فضلا كبيرا على الطلاب والأساتذة، والمترجمين الناطقين بالأردية .

يقع هذا المعجم في ٤٨٠ صفحة، صدرت له طبعات متعددة، وهذه طبعة ثانية من مكتبة دار العلوم ندوة العلماء، لكناؤ في أكتوبر عام ١٩٦٧م .

القاموس الاصطلاحي (أردي. عربي):

"القاموس الاصطلاحي" معجم صغير (أردي ـ عربي) ألفه الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي القاسمي، تناول فيه المصطلحات الجديدة التي طالما تستخدم في حياة الإنسان العامة والعلمية بالإضافة إلى الكلمات التي تستخدم في الصحافة المعاصرة وكتب الأدب في اللغة الأدرية، وترجم معانيها إلى العربية الحديثة، الفصحى لا العربية المحلية أو الدارجة .

وقد رتب المعجم على الترتيب الألفبائي، أخذ المؤلف كلمة أردية ووضعها في الجانب الأيمن ثم جاء بكلمة عربية إزاءها تشرح معنى الكلمة الأردية مع

بيان صيغها المختلفة من الماضي والمضارع والمصدر، والمؤلف دقق في ذكر الصلات خلال بيان معنى الكلمة .

المعجم (أردي. عربي) :

"المعجم"(من الأردية إلى العربية) ألفه مجموعة من المؤلفين في الهند وهم:

١- المفتي محمد شفيع: كتب المقدمة .

٢- خليل الرحمن النعماني: قام بالتأليف والترتيب والتصحيح والمراجعة، وشرح الأمثال الأردية بالعربية .

٣- العلامة السيد سليمان الندوي: ذكر اللغات التي أتت منها الكلمات إلى الأردية والعربية .

٤- المفتي محمد تقي العثماني: اعتنى بالألفاظ المترادفة .

٥- وقد استفاد المؤلف كثيراً من المعجم الأردي ـ العربي لعبد الحفيظ البلياوي (١٣) .

٦- محمد رضي العثماني: أعد فهرساً طويلاً للمعاجم العربية، وهو في آخر الكتاب.

في بداية الكتاب فصل المؤلف الكلام عن التعريف باللغة وتاريخ اللغة، وذكر أول لغات العالم، فإنه رجح أن أول لغات العالم التي نطق بها أبو البشر سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ في الجنة، وفي هذه الدنيا أيضا هي اللغة العربية، وقد تحدث بقدر من التفصيل عن اللغة العربية وفضيلتها على اللغات العالمية الأخرى بالإضافة إلى الحديث عن قبائل العرب، وسعة العربية، وتدوين العلوم فيها.

وقد رتب هذا المعجم على الترتيب الألفبائي .

قاموس ألفاظ القرآن الكريم: Vocabulary of the Holy Qur'an

هذا قاموس قرآني عربي ـ إنكليزي، أعده الدكتور عبد الله عباس الندوي (١٣) لإفادة المثقفين باللغة الإنكليزية وتوجيههم إلى القرآن الكريم .

قام المؤلف فيه بشرح الكلمات الواردة في القرآن من حيث معناها، وسياقها في الآيات، مع الإشارة إلى وضع كل كلمة وحركاتها الثلاث من الرفع والنصب والجر، ورتّبه طبقا للمجرد الثلاثي على الترتيب الهجائي، (الجذري) وسرد مع كل كلمة آية قرآنية أو جزءا منها، فأشار إلى اشتقاق تلك الكلمة طبقا لقواعد التصريف، وبجانب ذلك جاء بترجمة معانيها المختلفة بالإنكليزية، وللإشارة إلى السورة ما ذكر إسمها بل اكتفى برقمها ورقم الآية، فأولا كتب رقم السورة ثم رقم الآية مثلا:

"والمقيمين الصلاة والموتون الزكاة" .

AND THE ESTABLISHERS OF PRAYER AND THE GIVES OF ZAKAH (٤:١٦٢)

ووضع هذا الجزء من الآية في مادة "ق وم" كما هو الأصل ثم سرد خلالها كل ما ورد في القرآن من الكلمات المشتقة من هذا الأصل، ولم يكتف

بالإتيان بمثال واحد من القرآن تحت هذه المادة، وإنما جاء بأمثلة متعددة مع ترجمة معانيها المختلفة التي تدل عليها مثلا :

"المستقيم" : (AP – DER .M. SIGN)

RIGHT, STRAIGHT, RIGHTEOUS, UPRIGHT, WELL, CONSTITUTED

ثم جاء تحت هذه الكلمة آية مع ترجمتها الإنكليزية لتوضيح المعنى ولتفهيم الكلمة فهما كاملا، وهي:

"اهدنا الصراط المستقيم"

"GIDE US THOU UNTO THE PATH STRAIGHT" (ص: ٥٤٨ـ ٥٤٩)

وفي بداية الكتاب ساق المؤلف بعض القواعد من النحو والصرف، والاشتقاق، كما هناك إيضاحات إنكليزية عن رموز وإشارات اتخذها المؤلف لشرح المصطلحات الصرفية والنحوية، وفي آخر الكتاب قائمة للأعلام الوادرة في القرآن مع الإشارة إلى أصلها الثلاثي وتلفظها في لغات، وكتب مختلفة من التوارة والإنجيل، وما إلى ذلك .

وفيه بعض التفاصيل من دون تطويل عن الأماكن والأنبياء السابقين الذين ورد ذكرهم في القرآن، وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب أنه استفاد في إعداده من التفاسير المتفق عليها صحة، أمثال:"جامع البيان" لابن جرير الطبري، و"الكشاف" للإمام الزمخشري، و"تفسير القرآن العظيم" للإمام ابن كثير الدمشقي، وما إلى ذلك .

وأما البحث عن معاني المفردات فراجع لذلك معاجم اللغة العربية المستندة إليها والموثوق بها، أمثال :"لسان العرب" لابن منظور، و"المفردات في غريب القرآن" للعلامة الراغب الأصفهاني، كما راجع "أقرب الموارد" لسعيد الخوري، وكذلك استفاد كثيراً من الترجمات الإنكليزية المختلفة لمعاني القرآن للمسلمين وغير المسلمين .

وجملة القول أن الكتاب يفيد المسلمين في معرفة معاني المفردات القرآنية من ناحيتي البناء والسياق .

والكتاب يشتمل على ٨٩٦ صفحة، وقد صدرت له ١٠ طبعات من جدة، وبيروت، وسنغافورة، وكوالالمفور، وكراتشي، وهذه هي الطبعة الهندية قامت بها "مكتبة فريد التجارية" بدلهي (الهند) باعتناء الشيخ عبد الكريم باريكه .

تعليق على البحث :

وقد فات الأخ قمر شعبان الندوي ذكر عدة معاجم وقواميس رتبها العلماء الهنود :

١- اللغات الجديدة : قام بترتيبها العلامة السيد سليمان الندوي بإيعاز من أستاذه العلامة شبلي النعماني، وهي مجموعة كلمات ومفردات حديثة كثر استعمالها في الصحف والجرائد العربية .

٢- سنكم (مجمع البحرين) للعالم الجليل الطبيب عزيز الرحمن الأعظمي رحمه الله، فإنه ترجم القاموس الشهير بـ "المورد" باللغة الأردية، وهو قاموس ثلاث لغات: أردية، عربية، وإنجليزية، وقد طبع هذا القاموس في ثلاثة مجلدات من مكتبة الفردوس بلكناؤ الهند .

٣- القاموس الوحيد للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي (ت ١٩٩٥م)، أعدّه في آخر حياته، فلم يطبع حتى لبى نداء ربه سبحانه وتعالى، واهتم بطبعه الأديب الشيخ عميد الزمان الكيرانوي وراجعه، وقدم له تقديما مسهبا، وهو في مجلدين .

٤- القاموس المفرد، إعداد الأستاذ الدكتور عبد الحميد أطهر الندوي .

٥- كنز اللغات: إعداد : لفيف من علماء غجرات، من جامعة كنز العلوم بأحمد آباد في ولاية غجرات .

٦- لغات القرآن للشيخ عبد الكريم باريكه، ذكر فيها معاني كلمات القرآن باللغة الأردية، وهو قاموس قرآني، يستطيع المبتدئ لهذا الفن أن يفهم القرآن بواسطته فهما ما (مساعد التحرير) .

الحواشي:

(١) ولد بمدينة لاهور في ١٠/صفر سنة ٥٧٧هـ /٢٤ يونيو١١٨١م، يوم الأربعاء ونشأ بغزنة، ودخل بغداد سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م.

ومن مؤلفاته :"مجمع البحرين" في اللغة و"العباب الزاخر واللباب الفاخر" في اللغة، ولم يتمه، وكتاب "الشوارد" و"الفحول" و"الأضداد" وكتاب "العروض" وكتاب "أسماء العادة" وكتاب "الفرائض" وكتاب "الضعفاء" وكتاب "الموضوعات" وكتاب في "علم الحديث" وكتاب "مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين" وكتاب "شرح البخاري" وكتاب "در الصحابة في وفيات الصحابة" وغير ذلك .

توفي ليلة الجمعة ١٩/شعبان سنة ٦٥٠هـ/٢٤ أكتوبر ١٢٥٢م .

(٢) محمد محمد طاهر الفتني، ولد بولاية غجرات بالهند عام ٩١٠هـ/١٥٠١م حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحلم، وكان محدثا عالما ورعا، زار الحرمين، وعاد إلى بلده، وانعكف على نشر العلم فيه، ومن مؤلفاته :"مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار" و"تذكرة الموضوعات" و"المغني في ضبط أسماء رجال الحديث" وغيرها، وتوفي عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م .

(٣) هو محمد مرتضى الحسيني البلكرامي الزبيدي، فتح عينيه في أسرة علم وأدب ببلكرام، بالهند عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢ـ ٣٣م، وتلقى الابتدائية بها، ثم استفاد من العلامة أحمد بن علي السنديلوي بسنديله، وصفة الله الخير آبادي بخير آباد، والملا فاخر زائر الإله آبادي بإله آباد، والشيخ ياسين العباسي بأكبر آباد، والعلامة المحدث نور الدين محمد القبولي (ت ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م) بدلهي، والشاة ولي الله المحدث الدهلوي بدلهي، وفي عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م) توجه إلى زبيد باليمن حيث تتلمذ على الشيخ رضي الدين عبد الخالق المزجاجي الزبيدي، وانتهل من محمد بن علاء الدين المزجاجي، وأحمد بن محمد مقبول الأهدل، وفي عام ١١٦٤هـ/١٨٥١م رحل البكرامي إلى الحجاز و زار الحرمين الشريفين، واستفاد من علمائها، وأخذ الطريقة العيدروسية من الشيخ عبد الرحمن العيدروسي الذي شوقه إلى مصر، ففي ٩/صفر ١١٦٧هـ/٥ ديسمبر ١٧٥٤م وصل إلى مصر حيث أمضى بقية حياته، حتى توفي بها في الطاعون، وذلك يوم الأحد ٧/شعبان ١٢٠٥هـ/١٠ أبريل ١٧٩١م، كان الزبيدي يتقن اللغات، العربية، والفارسية، والتركية، والهندية، وقد خلف تقريبا ١٥٤ مؤلفا ما بين المطبوع والمخطوط، ومن أشهر مؤلفاته:

١- "تاج العورس من جواهر القاموس" (فقد خرج الآن في ٤٠ جزءاً بتحقيق ومراجعة جماعة من المحققين والمراجعين أولا من وزارة الإعلام في الكويت، ثم من دار الكتب العلمية في بيروت، لبنان، وذلك كله يقتضي دراسة مستقلة) .

٢- "التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة ٨ مجلدات .
٣- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٥ مجلدا ، وغيرها من المؤلفات .
(٤) ولد في تهانه بهون، وهي قرية في الجانب الغربي الشمالي لولاية أترابراديش تبعد من دلهي تقريباً ١٢٠ كيلو متراً، قضى حياة علم وأدب و ورع وتدين، وبرع في فنون مختلفة، وتولى منصب القضاء، ومن مؤلفاته :
١- رسالة التكسير والأوقاف .
٢- رسالة أحكام الأراضي (مخطوط) .
٣- قواعد ذوي الأرحام .
٤- حاشية الفتاوي الحمادية (ألف أبو الفتح ركن بن حسام الدين الناكوري هذا الكتاب، وأما التهانوي فقد علق عليه، وكتب حواشيه) .
٥- مذكرة القاضي محمد أعلى (سيرته الذاتية، وفيها معلومات كثيرة عن الحديث والفقه، وغيرهما.
ومن أشهر مؤلفاته وأكثرها شهرة وإفادة في العالم هو:كشاف اصطلاحات الفنون.
(٥) هو العالم الهندي الكبير اشتهر في الهند من مصاقع الخطباء بالأردية، عينه مسئولو دار العلوم ديوبند رئيسا لها في شبابه الباكر لفضله ولتوفقه العلمي وحزمه، ولد في أسرة علم وديانة وتقى، وهي أسرة الشيخ محمد قاسم النانوتوي، إذ المقرئ محمد طيب حفيده، وذلك في محرم ١٣١٥هـ/ مايو١٨٩٧م، ببلدة ديوبند بمديرية سهارنبور، ولاية أترابرايش .
ومن أساتذته العلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي، والعلامة أنور شاه الكشميري .
وهو أول من عين رئيسا لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، وتوفي المقرئ محمد طيب رحمه الله في ٦/ شوال ١٤٠٣هـ / الموافق ١٧/يوليو ١٩٨٢م يوم الأحد، ومن مؤلفاته آفتاب نبوت (شمس النبوة) شان رسالت (عظمة الرسالة).
(٦) انظر القاموس الجديد (عربي- أردو) ٢٠٠١م دلهي، المقدمة ص:٥ .
(٧) ربما يلتبس القارئ في هذا الرمز يا حبذا لو جاء برمزين مختلفين للدلالة على هذين البابين المختلفين (فتح وسمع) لأن حركة عين الكلمة في الماضي فيهما تختلف.
(٨) كان الأستاذ رئيس المدرسين بمدرسة مصباح العلوم، بريلي وقتذاك .
(٩) انظر كلمة المؤلف في المقدمة .
(١٠) انظر مقدمة المؤلف .
(١١) نفس المصدر .
(١٢) وقد سبق ذكر هذا المعجم الأردي- العربي في الصفحات السالفة.
(١٣) ولد الدكتور عبد الله عباس الندوي عام ١٩٢٥م، وهو من العلماء واللغويين الهنود، عاش أكثر من ثمانين عاما، أكمل دراسته الإسلامية واللغوية والأدبية في دار العلوم ندوة العلماء لكناء بالهند، وحاز شهادة الدكتوراه من جامعة ليدز بإنكلترا عام ١٩٦٨م، عين أستاذا بجامعة أم القرى مكة المكرمة، ومستشارا لرابطة العالم الإسلامي، وعميد الشؤون التعليمية لدار العلوم ندوة العلماء.
ومن أساتذته الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، والأستاذ محمد ناظم الندوي، والأستاذ عبد السلام قدواني الندوي، والدكتور إيزرلين (هو الذي أشرف على رسالته للدكتوراه بليدز) .
توفي الدكتور في الواحد من ذي الحجة ١٤٢٦هـ / الواحد من يناير ٢٠٠٦م في الساعة العاشرة وخمس وخمسين دقيقة عند الظهيرة على الميعاد السعودي في مستشفى بجدة (المملكة العربية السعودية)، وصلى على جنازته الحجاج والمعتمرون في الحرم المكي الشريف، الذين تعدادهم يجاوز المليون، ودفن في مقابر جنة المعلى بمكة المكرمة، وقد خلف أكثر من ٣٠ كتابا بالعربية والأردية والإنكليزية .
ومن أهمها:
١- ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب .
٢- مذاهب المنحرفين في التفسير .
٣- تعلم لغة القرآن (LEARN THE LANGUAGE OF THE HOLY QUR'AN)
٤- مكررات قرآن (بالأردية) .

صور وأوضاع

من الحجاب إلى الصلاة

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

يبدو أن عداء الإسلام والمسلمين أصبح مرضاً عالمياً، يصاب به كل من يعتمد في ثقافته على الحركة العلمية في أوربا، ويثق بالإعلام الغربي، وقد كان هذا المرض محدودا، ولكن البث الإعلامي المباشر جعل هذا المرض عالميا، وخاصة في عصر العولمة الذي تسيطر عليه أمريكا، ولذلك وصف بعض الباحثين العولمة بأنها في الحقيقة "أمركة". ولايشك أحد ممن له اطلاع على الأوضاع الراهنة، ودراية للسياسة الأمريكية من التعليم إلى الدفاع، أن أمريكا خاضعة للنفوذ الصهيوني،وقد تعدى هذا النفوذ إلى السيطرة على السياسة الأمريكية.

وقد بدأ قادة أمريكا الحرب على ما سموه بـ "الإرهاب الإسلامي" وصرح زعماء السياسة الأمريكية أنهم لا يحاربون الإسلام، بل يحاربون الإرهاب، وكان الرئيس الأمريكي أوباما أكثر تصريحاً بقوله إن أمريكا لن تحارب الإسلام ولا تحارب الإسلام، وإنما هدفها الإرهاب، وقد أوضح قادة العالم أن الإرهاب لا يخص بالإسلام أو المسلمين؛ بل يوجد الإرهاب في الجاليات الأخرى،وتوجد منظمات إرهابية في دول أوربا، وأمريكا نفسها،كما توجد منظمات أصولية متزمتة،وأما إسرائيل: فهي دولة تقوم على الإرهاب، ولا تخفي نواياها الإرهابية، وعملياتها العدوانية، يتعرض لها الفلسطينيون، وتتكرر فيها الهجمات على المساجد، ومنع المسلمين من أداء الصلاة، وتهديداتها للمسجد الأقصى معروفة، ولا تحدها من عملياتها الإرهابية الأممُ المتحدة ولا أمريكا، فإنها حرة مطلقة من كل قيود، أو خضوع لأي قانون دولي، ولا توجد قوة تمنعها من ممارسة إجراءاتها الإرهابية .

لقد كان للحرب التي بدأتها أمريكا ضد الإرهاب الإسلامي المزعوم، والتي كان لها تأثير على نظام التعليم في الدول الإسلامية، ومواد التعليم والحركات الدينية، حتى الجمعيات الخيرية، تأثير على العالم كله، لا تستثنى منها الدول الإسلامية .

وكان من تأثير هذه الحرب على الرموز الإسلامية، أن اتخذت عدة دول أوربية قوانين لفرض الحظر على الحجاب، وبدأت هذه الحملة في فرنسا، ثم تبعتها دول أخرى، وتأثرت بها الدول الإسلامية التي تخضع للنفوذ الغربي، ومنعت بذلك الطالبات المسلمات من دخول دور التعليم، ثم عمت هذه الحملة قطاعات أخرى، فمنعت المتحجبات من دخول المحاكم، وأجبرت بعض المسافرات على كشف وجهها أثناء السفر؛ لأن الحجاب يرمز إلى تمسك الفتاة بالتعاليم الإسلامية، والتمسك بالتعاليم الإسلامية أصولية.

ومن الحجاب انتقلت هذه الكراهية للرموز الإسلامية إلى المساجد، فاتخذت سويسرا خطوة لمنع رفع منارات المساجد، وفرض الحظر على بناء المساجد في بعض مناطق العالم، ومن المسجد انتقلت هذه الحرب إلى الصلاة، ففرض الحظر على أداء الصلاة بحرية، وحددت مساجد، كما حدث في تونس في عهد الرئيس المعزول زين العابدين.

ومن تحديد المساجد للصلاة انتقل الأمر إلى فرض الحظر على الصلاة مطلقاً، ودخول الشباب في المسجد، ومن المؤسف جداً أن هذا الحظر فرض أولاً في دولة الأغلبية الإسلامية التي خضعت للحكم الاشتراكي مدة طويلة، ويسيطر على قيادتها قادة نشأوا في عهد الاشتراكية التي فرضت الإلحاد على سائر المناطق التي خضعت لنفوذها، ومنها الدول العربية التي فرضت النظام الاشتراكي كسوريا واليمن الجنوبي والعراق.

أفادت الصحف بأن طاجيكستان فرضت الحظر على الأطفال المسلمين لدخول المساجد، وقد اتخذ هذا القرار في البرلمان، ثم وقع الرئيس الطاجيكستاني على قرار البرلمان، فأصبح قانوناً.

تفيد الصحف بأن العاصمة الطاجيكستانية دوشنبيه اعتمدت قراراً رسمياً يحظر بموجبه على الأطفال دخول المساجد، وذلك عقب توقيع الرئيس الطاجيكستاني إمام على رحمون على هذا القرار، ومصادقة مجلس النواب ومجلس الشيوخ في البلاد، وذلك في شهر رمضان.

ولا يمنع القانون الجديد كل القاصرين من دخول المساجد، إذ يستثنى المراهقين المسجلين في المدارس الدينية المعترف بها رسمياً في طاجيكستان، وبالإعلان عن هذه الخطوة يكون النظام الرسمي الطاجيكستاني قد وضع النقطة النهائية في النقاش الحاد الدائر في البلاد منذ قرابة عام، جراء مشروع القرار، مما أثار استياء شعبياً كبيراً وجدلاً واسعاً في صفوف الأحزاب المعارضة في طاجيكستان.

وحول هذا القرار صرح المعارض والسيناتور السابق حاجي أكبر طورجان زاده لوكالة "إيتارتاس" الروسية للأنباء أن "هذا القانون ينتهك أسس حقوق الإنسان، فالذهاب للمسجد حق لكل مسلم وواجب عليه بغض النظر عن عمره". وأضاف طورجان زاده" كنت أؤمن وآمل حتى اللحظة الأخيرة أن الرئيس لن يوقع هذا القانون الذي لا يؤدي إلى الوفاق القومي والديني في المجتمع، بل إلى العداء والانقسام".

يذكر أن الرئيس الطاجيكستاني إمام على رحمون أقدم على خطوات، يرى من وجهة نظره أنها تعزز مواجهة التطرف الديني، ومنها اتخاذه قراراً بعودة جميع الأطفال والمراهقين المبعوثين لدراسة تعاليم الدين الإسلامي في مدارس الخارج، معللاً ذلك بالقول إن "معظم هذه المدارس محظورة وتعلم الأطفال لا أن يصبحوا علماء، بل إرهابيين ومتطرفين" وبناء على هذا القرار عاد إلى طاجيكستان قرابة ١٥٠٠ طالب كانوا يدرسون في مصر والإمارات وباكستان و إيران، ومن الإجراءات التي اتخذتها دوشنبيه كذلك تشديد القوانين الجنائية لملاحقة المنضمين لأحزاب دينية تعتبرها الدولة أصولية، مثل"البيعة" و"حزب التحرير" و"جماعة التبليغ".

وبناء على هذا الإجراء اتخذت دول أوربية متعددة وفي مقدمتها ألمانيا قراراً بمنع الصلاة في الأماكن العامة، وخاصة دور الحكومة، كما فرضت ألبانيا وفرنسا وبلجيكا و ايطاليا وهولندة الحظر على الصلاة وارتداء الحجاب في المدارس العامة والمكاتب والأماكن العامة، وأخيراً فرضت ألمانيا حظراً على أداء الصلاة في مدرسة ببرلين، واتخذت إجراءات ضد الطلاب المسلمين الذين أدوا الصلاة داخل المدرسة، وفي الأنباء الأخيرة قدم أحد النواب المنتمين إلى حزب ليكود في إسرائيل مشروع قرار لفرض الحظر على الأذان؛ لأن صوت الأذان يؤذي غير المسلمين، وعلى الأقل منع استخدام مكبرات الصوت للأذان.

لقد بدأت هذه الحرب من الحجاب، ووصلت إلى الصلاة مروراً بالمساجد، ولا يعرف مصير هذه الحرب، فقد بقيت قطاعات للانتماء إلى الإسلام لم يفرض الحظر عليها، وقد نشأت في أوربا حركات تحارب المسلمين علناً، وتطالب بإخراجهم من البلاد، وتشن هجوماً على المساجد والمدارس، وتجري كل هذه النشاطات في ظل منظمات حقوق الإنسان، وميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي يضمن حقوق العبادة والحرية الفردية.

★★★

من كنوز القرآن الكريم

مفردات القرآن

(٣٨)

للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤-١٩٥٣م)

جمع وترجمة : محمد فرمان الندوي

الاستقامة :

معنى الاستقامة لغة: الاستواء، أو المشي مستوياً، ويراد منه أن يستقيم الإنسان على موقف يفهمه حقاً، وان تعرضت له العراقيل، وكثرت المناوءات، وغمطت الحقوق، ويتجرع كل مرارة، لكن لا يمكن أن يصرف وجهه عن الحق ويمشي مستوياً بكل ثبات، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعلنه جهراً: {أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} [سورة فصلت:٦] أي أن تكون العبادات لله عزوجل، ويكون موضع هممنا ذاته سبحانه، ولا نلتفت يمنة ويسرة، بل نمشي إليه باستقامة، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون بأن يسيروا على هذا الدرب، لا يضلوا ولا يطغوا عن الإطاعة، قال الله عزوجل:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سورة هود:١١٢].

كانت صحراء العرب الحارة ملتهبة بالغضب والغيظ ضد مخالفة الدين الحق، وكانت تجري ريح العداء للنبي صلى الله عليه وسلم في كل ناحية من نواحيها، ولا تزال أرض الجزيرة العربية تتضايق رغم سعتها للمسلمين، فجاء التأكيد بالثبات على الحق والصدع به للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال الله عزوجل:{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ }[سورة الشورى:١٥]، وقد بشر هؤلاء المستقيمون بالنجاح الدائم، وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بقوله:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[سورة الأحقاف:١٣] ذلك اليوم تتخلع القلوب من شدة الهيبة، وإن الذين كانوا يتمتعون بنعمة الثبات على الحق يكرمون بالطمأنينة، ويبشرهم الملائكة بجزاء أعمالهم، قال الله عزوجل:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [سورة فصلت :٣٠]، ويشرح هذه الآيات الحديث الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه بعدك أو غيرك؟ قال: قل آمنت بالله ثم استقم (رواه مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي) .

وقد عمل الصحابة الكرام بهذه النصائح بكل استقامة، وإن ما قاموا بمآثر شجاعتهم الإيمانية والخلقية التي مر عليها ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن، لهج به لسان التاريخ الإسلامي بكلمة الثناء والإشادة به، وقد صور القرآن استقامتهم على الحق في سورة الأحزاب: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا❖ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}[سورة الأحزاب:١٠-١١] .

إن تعرض المشاكل في سبيل الله تعالى واستقامة رجال الله لمن سنن الله تعالى

التي قامت مذ أن خلق الله الإنسان وستبقى إلى الأبد، وكلما كان الناس مقصرين في هذا الجانب لم يكن النجاح حليفهم، قال الله عزوجل : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[سورة البقرة:٢١٤] .

إن هناك قصتين في القرآن الكريم ذكرهما الله تعالى في سبيل الاستقامة، إحداها:

قصة الكتيبة الصغيرة لطالوت، التي واجهت مع قلة عددها وظمأها عدداً كبيراً لجالوت وحازت النجاح، وكان لسانها رطباً بهذا الدعاء: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [سورة البقرة:٢٥٠] ، وأخراها:

قصة أصحاب الأخدود، وردت في كتب الأحاديث والسير: كان في اليمن رجال من قوم عيسى عليه السلام، وكانوا يؤمنون بالله إيماناً صادقاً قوياً، فآذاهم اليهود وحفروا لهم حفرة، وأشعلوا فيها النار ثم ألقوهم فيها، لكن هؤلاء المؤمنين لم يتزحزحوا عن إيمانهم، قال الله عزوجل في القرآن الكريم: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ❖ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ❖ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ❖ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ❖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[سورة البروج: ٤- ٨] (١).

الصدع بالأمر:

هذا وصف خلقي، له علاقة بالشجاعة، فكما أن القوات المسلحة تتظاهر بشجاعتها باليد والرجل كذلك إذا اشتد الصراع بين الحق والباطل، جهر المؤمن بالصوت تأييداً للحق، من القلب واللسان، هذا ما يعرف في الاصطلاح بإعلان كلمة حق، أو الصدع بالحق .

إن الصدع بالحق يعتبر جديراً بالمدح حينما يكون الحق إزاء القوة المادية ضعيفاً من حيث العدد، والباطل قوياً، وقد علم الإسلام الناس الجهر بالحق، وأمر رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم بها في القرآن الكريم: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ❖ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ❖ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}[سورة الحجر:٩٤-٩٦]، {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ❖ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}[سورة الحجر:٩٥-٩٦]، أي قد انقضى عهد الدعوة إلى الله خفية، وجاء عهدها جهراً، فاجهر يا محمد! بالدعوة إلى الله، وإن يسخر منك الأعداء فلا تبال بسخريتهم حتى لا تكترث بقوتهم المادية {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

وقد ثبت من الآية أن الخوف هو الذي يمنع الإنسان من الجهر بالحق، والخوف له أنواع: تارة يكون الخوف من الملامة، الذي ورد استنكاره في الآية المذكورة أعلاه، واعتبر في آية أخرى صفة خلقية قيمة للمسلمين : بقوله تعالى: {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: ٥٤] .

وتارة ينتج من ضياع النفس والمال والأشياء الأخرى، فقد أحبط الإسلام كل نوع

---

١ - سيرة النبي ج/٦/٢٦١-٢٦٥.

من الخوف إزاء الجهر بالحق، أن أخوف طبقة في الناس طبقة الملوك الظالمين، فقرر الإسلام قول الحق لديهم أكبر جهاد بقوله صلى الله عليه وسلم :"أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"(عن أبي سعيد الخدري، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سنن أبي داود: رقم الحديث: ٤١٤٧) (١)

الغنى:

الاستغناء مشتقة من الغنى، والغني عن كل شيء صفة يجدر بالله عزوجل، قال الله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[آل عمران:٩٧] ولا شريك لله عزوجل في هذه الصفة، فهو غني، والدنيا كلها محتاجة إليها، {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} [سورة محمد:٣٨] أما غنى الإنسان فهو أن يكون مستغنيا عما سوى الله تعالى .

وليعلم أن غنى الإسلام يقوم على أساسين:

أولا:

اعتقاد أن كل ما يجد الإنسان من مال ومتاع وصحة وعافية فهو من الله، فليس من العدل أن يمد الإنسان يده إلى ما سوى الله، فإن آية من سورة الفاتحة تركز على هذا الجانب، قال الله عزوجل:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [سورة الفاتحة:٥] ، وأكد الله هذا المعنى في عدة مواضع من القرآن العظيم، فقال: {وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[آل عمران: ١٧٥] ، وقال: {وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا}[سورة الإسراء:٦٥]، وقال: {أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلا}[سورة الإسراء:٢]، ويسأل عبادة في آية: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} الزمر:٣٦]، فلا حلاجة للإنسان أن يركع أمام أي غني أو ملك أو أمير .

وثانيا:

القناعة التي عليها دعامة الاستغناء، وهي أن يطمئن الإنسان بكل ما أوتي من قليل أو كثير من الله، ولا يحدث في نفسه الطمع والحرص للمال الكثير، قال الله عزوجل: {وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [سورة طه:١٣١] .

إن بعض الناس يكونون حريصين على جمع المال، رغم أنهم أغنياء، ولا تشبع نفوسهم من المال والثروة، ويكسبونه من كل طريق غير مشروع، فإنهم يكونون محتاجين إلى المال رغم كونهم أغنياء، لكن بعضاً منهم لا يكونون أغنياء، لكنهم يكونون قانعين بما آتاهم الله عزوجل، ولا يحرصون على ادخاره، فإنهم يكونون مستغنين عنه رغم قلته . نظراً إلى هذا اتضح أن ليست علاقة الاستغناء بقلة المال وكثرته، بل بالقلب والروح .

وقد أشار إلى هذا الجانب رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم : «قَالَ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» .

(صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب الغنى عن النفس (رقم الحديث: ٦٤٤٦، عن أبي هريرة) (٢) ..

---

١ - سيرة النبي ج/٦/٢٦٥-٢٦٧.
١ - سيرة النبي ج/٦/٢٦٧-٢٦٩.

عالم جليل فقدناه:

فضيلة الشيخ محمد باقر حسين القاسمي: حياة حافلة بالدعوة والعلم

بقلم: محمد فرمان الندوي

كان فضيلة الشيخ محمد باقر حسين القاسمي أحد العلماء الأفاضل الذين أسهموا في نشر التعليم والدعوة الإسلامية في الهند في أواخر القرن العشرين، وكان قد بذل حياته كلها في توجيه الناس إلى الصراط المستقيم، وتحلية الجيل المسلم بتعليم الكتاب والسنة، وكان التعليم والدعوة إلى الله تعالى همه الوحيد وشغله الشاغل، فلم يزل على هذا الدرب، يربي الطلاب، ويعلمهم العلوم الإسلامية، ويزكيهم، ويتناولهم بالموعظة والنصيحة، وقد اشتهر صيته في الأوساط العلمية بالعالم الجليل، والداعية المتفاني في سبيل الله عزوجل .

ولد الشيخ محمد باقر القاسمي في قرية صغيرة باسم"مدار فور" من مديرية بستي بولاية أترابراديش عام ١٩٣٦م، وكان والده الشيخ محمد إسماعيل رجلاً صالحاً متدينا، يحيط الناس بالموعظة الحسنة، وكان الشيخ محمد باقر طفلاً، إذ فوجيء بوفاة والده، فعاش كيتيم، قامت أمه بتربية هذا الطفل، حتى نما وترعرع وتعلم، وكان زمن دراسته في ثلاث مراحل: (١) الدراسة الابتدائية (٢) الدراسة المتوسطة (٣) الدراسة العالية.

تعلم التعليم البدائي في المدرسة الدينية بدرياباد، في مديرية سنت كبير نغر، ثم التحق بمدرسة إحياء العلوم بمباركفور في مديرية أعظم جراه، وأشفى غليله التعليمي هناك، ثم ارتحل إلى مدينة بهرايش، والتحق بالجامعة العربية المسعودية نور العلوم ببهرايش، التي كانت مهداً للعلماء والدعاة، وكان من أبرع أساتذته: الشيخ الجليل محفوظ الرحمن نامي، والشيخ الحافظ حبيب أحمد، والشيخ أفضال الحق جوهر القاسمي، استمر الشيخ في تعليمه حتى ذهب إلى ديوبند، ودرس هناك في الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند، فاستفاد من الأساتذة الكبار في الجامعة نفسها، أمثال العالم الجليل المحدث السيد حسين أحمد المدني، والعلامة محمد إبراهيم البلياوي، والشيخ الأديب إعزاز علي الديوبندي، والشيخ المفسر فخرالحسن، والشيخ المقرئ محمد طيب، والشيخ معراج الحق،(رحمهم الله) وتخرج في سنة ١٩٥٦م بدرجة "ممتاز" .

شغل الشيخ محمد باقر حسين منصب التدريس في كل من مدرسة خادم العلوم بمديرية مظفر نجر، ومدرسة خادم الإسلام بهافور، والجامعة الرحمانية بمونغير، والجامعة الإمدادية بمرادآباد، ودار العلوم الإسلامية بمدينة بستي، فكان خير أستاذ يستفيد الطلبة منه أيما استفادة، وانتخب الشيخ محمد باقر عميدا للمدرسة الإمدادية بمدينة مرادآباد بحسن تدريسه، وتربية الطلاب، بإيعاز من الشيخ

المحدث الجليل محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله عام ١٩٦٩، وظل على هذا المنصب، إلى آخر حياته، فما زال يوسع نطاق المدرسة، واشترى لها أرضا واسعة هناك خارج المدينة، ونقل الصفوف التعليمية إليها، وشيد بنيان المسجد بجهده الخاص، فلا يزال طلاب العلم يقصدونها ويرتادون إليها، أما الجامعة الثانية التي أقامها في مدينة بستي بأمر من المقرئ الشيخ الرباني صديق أحمد الباندوي رحمه الله عام١٩٨٠م، فهي لا تزال مستمرة في خدمة العلوم الإسلامية وتخريج الطلاب البارعين في الشريعة الإسلامية، كانت بدايتها في مبنى مستأجر، ثم حصل بفضل الله تعالى على أرض واسعة لها في مدينة بستي، وقد زار هذه الجامعة كثير من فطاحل العلماء، أمثال المفكر الإسلامي والداعية الكبير العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، والقاضي مجاهد الإسلام القاسمي، رئيس مجمع الفقه الإسلامي سابقا، وغيرهم. كما كانت له صلة بجامعة ندوة العلماء والمسئولين عنها.

كان الشيخ محمد باقر القاسمي يعتني بالشؤون الإسلامية والأمور الدينية، مثل بناء المساجد والمدارس، ونشر التعليم الديني في القرى والأرياف، وظل مشتغلا طول حياته بأعمال المجلس التعليمي الديني لأترابراديش، الهند، وكانت له علاقة بمؤسس هذه الحركة القاضي عديل العباسي، وكان عضوا لهيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند، وجمعية علماء الهند.

كان الشيخ يقضي حياة مثالية تحت تربية المشايخ الكبار، فكان يتفرغ للعبادة، يهتم بصلاة التهجد، وكان متواضعا مشجعا للصغار، وأمينا متدينا، بسيطا ساذجا في حياته، قضى جل حياته في تدريس الكتب الحديثية وإدارة المدارس، لكن كان ذيله طاهرا في الأمور المالية، وكان قانعا بما أكرمه الله تعالى، وكان حليما وصابرا، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومتحليا بالأخلاق الفاضلة.

قد أصيب قبل وفاته بأعوام بمرض السكر، فقد أثر في حياته، وزاد من الأمراض والأسقام، حتى لبّى نداء ربه في ١٦/جمادى الأولى ١٤٣٢هـ والمصادف ٢١/من شهر أبريل عام ٢٠١١م مساء الجمعة، رحمه الله رحمة واسعة، وأغدق عليه شآبيب رحمته وجعله من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

خلف وراءه أسرة حافلة بالعلم الديني، إن نجله الشيخ محمد أسعد القاسمي رئيس دار العلوم الإسلامية بمدينة بستي ورئيس تحرير مجلة "الفكر الإسلامي" الصادرة من مدينة بستي (الهند)، والشيخ محمد أرشد طبيب بارع، والشيخ محمد أسجد القاسمي الندوي شيخ الحديث بالجامعة الإمدادية ومديرها، وهو خير مؤلف وخطيب ومرب، وداعية إلى الله تعالى، حفظهم الله ورعاهم للإسلام والمسلمين.

أخبار علمية وثقافية:

ندوة أدبية حول شخصية العلامة عبد الماجد الدريابادي

قلم التحرير

عقدت ندوة أدبية في بلدة دريا باد بمديرية باره بنكي، الهند، حول شخصية العلامة الشيخ عبد الماجد الدريابادي، الذي كان يُعتبر أكبر شخصية أدبية وعلمية في القرن المنصرم (م١٩٧٩م) أثرت في تاريخ الهند العلمي والأدبي والثقافي تأثيراً عميقاً، فأوجد أسلوبا خاصا للكتابة في الأدب الأردي، قلده كثير من الأدباء والكتاب، وقد كان عضواً مهماً للمراكز العلمية والأدبية في هذه البلاد، ومن كبار أعضاء ندوة العلماء، وقد كان شغوفا بمطالعة كتب العلامة شبلي النعماني والعلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني، والد العلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، والعلامة الكبير السيد سليمان الندوي يرحمهم الله جميعا.

ففي اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر لعام ٢٠١١م، الموافق ١٤/من شهر ذي الحجة الحرام ١٤٣٢هـ عقدت ندوة أدبية في قاعة مدرسة معين الإسلام التي هي قائمة في منزله العامر بدرياباد، بإشراف صهره الأستاذ الدكتور محمد هاشم القدوائي، والأستاذ عبد العليم القدوائي عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء حول: حياة الشيخ عبد الماجد الدريابادي وخدماته، حضرها عديد من أصحاب العلم والأدب، وجماعة من المعجبين بشخصيته العظيمة، وكان من بينهم كاتب هذه السطور الذي وُلي رئاسة الندوة، كما قام بإدارة الندوة فضيلة الأخ الأديب الأستاذ عمير الصديق الندوي الدريابادي، وتحدث فيها الدكتور محمد هاشم القدوائي، والأستاذ عبد العليم، والأستاذ غياث الدين القدوائي، والدكتور مسعود العثماني الأمين العام لهيئة التعليم الديني لأترابراديش، وقد رعى الحفل الأستاذ السيد طارق حبيب الدين حيدر، وألقيت فيها مقالات عديدة لبعض الأدباء البارزين.

وانتهت الندوة بالدعاء لروح العلامة الدريابادي، وقد كان الأخ الكريم الأستاذ محمد بركة الله الندوي والأستاذ محمد عبد الله الندوي مرافقين لوفد ندوة العلماء، كما قد اهتم بإكرام الضيوف الشيخ المقرئ شكيل أحمد ورفقاؤه المكرمون.

حفلة توزيع الشهادات بجامعة فاطمة للبنات ببلدة مظفر فور، بولاية بهار

على دعوة من فضيلة الشيخ محمد بديع الزمان الندوي مؤسس جامعة فاطمة للبنات في بلدة مظفر فور بولاية بهار، سافر هذا العاجز الضعيف برفقة من

أخيه العزيز محمد عبد الله الندوي في الثامن من شهر أكتوبر المنصرم لعام ٢٠١١م، للحضور في حفلة توزيع الشهادات للبنات المتخرجات من هذه الجامعة، وذلك لعام ١٤٣١ـ ٣٢هـ الموافق ٢٠١٠ـ ٢٠١١م، والجامعة هذه تابعة للوقف الخيري والتعليمي لمولانا السيد الشيخ أبي الحسن علي الندوي (يرحمه الله تعالى).

وقد حضر الحفل كبار علماء المنطقة وتحدثوا فيها حول موضوع تعليم البنات المسلمات، وكان من بينهم العالم الجليل فضيلة الشيخ القاضي محمد قاسم المظفرفوري، وشقيقه الحافظ محمد ناظم، وفضيلة الشيخ محمد أنيس الرحمن القاسمي، رئيس مركز الإمارة الشرعية في ولاية بهار، وسعادة الدكتور محمد مسلم الندوي صاحب عيادة الصحة للأعظمي في مظفر فور، والشيخ محمد حامد الندوي، مدير المدرسة الإحسانية الإسلامية ببلدة سمرا.

وبعد توزيع الشهادات قدمت جوائز عديدة إلى أصحاب الاختصاصات المختلفة، منهم الصحافي المراسل لجريدة سهارا اليومية، وفضيلة الشيخ مولانا محمد قاسم المظفرفوري، وجائزة الأدب العربي والصحافة الإسلامية باسم: مفكر الإسلام العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي لهذا العاجز الضعيف.

وقد كان لهذه الحفلة وفعالياتها صدى في الولاية وخارجها، ونظر إليها الناس بإعجاب، ورحبوا بالقائمين عليها، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ محمد بديع الزمان الندوي، جزاه الله خيراً ووفقه لمزيد من الخدمات في مجال تعليم البنات المسلمات.

ندوة دولية حول أنشطة علماء الدين العلمية والتحقيقية في العهد الراهن

في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر ٢٠١١م، المصادف ١٦/ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٢هـ عقد هذه الندوة فضيلة الشيخ المفتي محفوظ الرحمن العثماني، في معهد .A.N سنها، على مقربة من ميدان غاندي بمدينة بتنه، عاصمة ولاية بهار، الهند، تحت إشراف فضيلة العلامة الشيخ محمد سالم القاسمي رئيس دار العلوم (الوقف) ديوبند، الهند، وبرئاسة هذا العاجز الضعيف مدير جامعة ندوة العلماء، الهند.

حضرها كبير وزراء الولاية معالي السيد نتيش كمار المكرم، وقام بتدشين كتاب "متاع زندكي" (متاع الحياة) لمؤلفه سعادة الدكتور شهاب الدين ثاقب القاسمي، والكتاب يدور حول حياة فضيلة الشيخ المفتي محفوظ الرحمن العثماني وخدماته الاجتماعية والدينية والعلمية ومجهوداته المستمرة وتحركاته المخلصة في جميع المجالات، مما يواجه فيه المسلمون اليوم من مشكلات وصعوبات، وقد قامت بنشره وتوزيعه جامعة القاسم دار العلوم الإسلامية ببلدة مدهوبني، بمديرية سبول بولاية بهار، وهي جامعة إسلامية وليدة تقوم بمهمة التعليم الإسلامي ونشر الدعوة إلى الله على مستوى العموم، وهي رمز للمجهودات الجليلة التي بذلها ويبذلها فضيلة الشيخ العثماني: (حفظه الله ذخراً للإسلام والمسلمين)..

وعودة إلى حفل الندوة :

فقد افتتحها بكلمته الغالية فضيلة الشيخ محمد شاهد السهارنفوري، أمين عام لجامعة مظاهر علوم في سهارنبور، الهند.

وألقى الخطاب الرئيسي الصحافي البارع الدكتور عزيز برني أحد مديري جريدة سهارا اليومية الدولية، والصادرة في كبرى مدن الهند، وألقى خطابه العلمي الجيد الأستاذ الدكتور أختر الواسع رئيس قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الملية الإسلامية دلهي الجديدة.

أما ضيوف الشرف فكانوا كالآتي أسماؤهم:

فضيلة الشيخ محمد عيسى المنصوري، رئيس المنبر الإسلامي العالمي في بريطانيا، (لندن).

فضيلة الشيخ أنيس الرحمن القاسمي، رئيس مركز الإمارة الشرعية في بتنه، ولاية بهار.

فضيلة الشيخ سليم محمد كريم، رئيس دار القرآن، (الوقف العالمي) إفريقيا الجنوبية.

فضيلة الشيخ المقرئ إسماعيل بسم الله (منشيء ومدير جامعة القراءات غجرات، الهند.

ومن جماعة الضيوف من أبدوا انطباعاتهم هم :

السيد أنور علي، عضو البرلمان.

والسيد شاهد علي، عضو مجلس الوزراء لولاية بهار.

والمفتي زاهد علي خان، رئيس القسم الديني بجامعة عليكراه، الهند.

والسيد أحمد أشفاق كريم، رئيس كلية الطب في كتيهار بهار الهند.

والسيد نوشاد أحمد، رئيس لجنة الأقليات لحكومة بهار.

وفضيلة الشيخ محمد إسلام القاسمي.

وفضيلة الشيخ المفتي محمد ثناء الهدى القاسمي، نائب الرئيس للإمارة الشرعية، في بتنه.

وفضيلة الشيخ المفتي أرشد الفاروقي، شيخ الحديث بجامعة الإمام محمد أنور شاه، ديوبند.

كما أن مدير الندوة كان الأستاذ عبد القادر شمس، نائب رئيس تحرير جريدة (سهارا) اليومية الدولية، دلهي الجديدة.

وقد كان لهذه الندوة صدى واسع في الأوساط العلمية، والأدبية، والثقافية، ولعلها تكون خطوة ذات تأثير في مجالات متعددة من الأعمال والخدمات

إصدارات حديثة:

الإمام الأكبر محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى

صدر هذا الكتاب من أكاديمية الإمام محمد قاسم النانوتوي ببلدة نانوتة بمديرية سهارنفور، بولاية أترابراديش، الهند.

ألف هذا الكتاب فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أويس الصديقي النانوتوي حول حياة الإمام الحافلة بجلائل الأعمال والمشاريع والخدمات المنعدمة النظير، بين أوساط علماء عصره، ولذلك فإن المآثر العظيمة والمفاخر الكبيرة التي أنجزها الإمام النانوتوي بمجرد توفيق الله تبارك وتعالى وعنايته البالغة، كانت في الواقع دافعاً كبيراً ونموذجاً غالياً للذين أتوا من بعده، واقتفوا خطواته في مجال العمل وبناء المستقبل اللامع في الحياة.

كان الإمام النانوتوي آية من آيات الله تعالى فيما ظهرت على يديه من عبقريات عظيمة في العلم والدعوة الى الله وفي بناء الإنسان وصناعة الرجال، ومن هنالك كان يملك شخصية عملاقة صنعت تاريخاً مشرقاً في جميع المجالات العلمية، والدينية، والاجتماعية، وفي محاربة الاستعمار، ومقاومة أصحاب الديانات الباطلة، ومواجهتهم في ميادين المناظرات الدينية، والرد عليهم، بدلائل علمية وحجج عقلية مقنعة، بحيث كان يلوذ أهل الباطل بالفرار عن الميدان.

إن للإمام النانوتوي مواقف كثيرة محمودة في نشر العلم والدعوة، وإنقاذ العقيدة الإسلامية الإيمانية من خضم الكفر، والبدع، والخرافات، وفي دحر النصارى وهزيمتهم، وإثبات تحريفاتهم في الإنجيل، ولاسيما قصة الراهب «إسكات» ومناظرته معه، نالت شهرة عظيمة، انتصر فيها الإمام النانوتوي انتصاراً عظيماً، ولم يعد للراهب إلا أن ينسحب عن الميدان.

يسرني في المناسبة أن أقتطف هذه القطعة من مقدمة المؤلف لهذا الكتاب:

"يسرني ويسعدني أن أقدم إلى إخواني العرب ترجمة حياة عالم جليل، وشخصية عبقرية فذة وعلم من أعلام التاريخ الإسلامي ورجل من الرجال العظماء، غير مجرى التاريخ بإذن الله لإخلاصه وأعماله البناءة المثمرة، وأذل الله الكفر وأهله، والشرك وناصريه على يديه، وأظهر على يديه الدين الحق على رؤوس الأشهاد، كما يسعدني أن أقدم إلى العالم العربي جهوده في إعلاء كلمة الله، وهو الشيخ العالم الرباني الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله مؤسس الجامعة الإسلامية الشهيرة بـ"دار العلوم ديوبند" التي عمّ خيرها ونفعها العالم كله، وامتدت فروعها إلى أقصى العالم».

ونحن إذ نهنيء المؤلف الكريم على هذا الإخراج القيم عن حياة وخدمات الإمام الأكبر الشيخ محمد قاسم النانوتوي، نتمني على الله تعالى أن يوفقه للخدمات العلمية والدينية، والاستمرارية في مثل هذه التأليفات التحقيقية دائماً.

إلى رحمة الله تعالى

١- الشيخ مجيب الله القاسمي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأخ الفاضل الشيخ مجيب الله القاسمي أحد مدرسي المدرسة الثانوية لندوة العلماء سابقاً، وسفير ندوةالعلماء بعده، فكانت له جولات في مدن الهند الشهيرة حيث كان يقوم بتعريف ندوة العلماء، ولفت أنظار الناس إلى تخصيص العطايا والتبرعات لشؤون ندوة العلماء، ولقد قام بهذه المهمة إلى مدة طويلة بكل نزاهة وأمانة.

كان قد أصيب بمرض الشيخوخة، وضعف الصحة، ولكنه لم يفارق عمله في هذا المجال، فلم يترك فرصة إلا وقد انتهزها لصالح ندوة العلماء، وقد عاش مع أسرته المقيمة في مدينة لكناء، ولبى نداء ربه في اليوم الأول من شهر نوفمبر عام ٢٠١١م الموافق ٤/ من شهر ذي الحجة سنة ١٤٣٢هـ، وصلى عليه فضيلة الشيخ خالد رشيد الندوي الفرنجي محلي مع جمع حاشد من طلاب وأساتذة دار العلوم لندوة العلماء، والمدارس الملحقة بها، قضى حياة زهد وقناعة في صلاح وخشية من الله تعالى، ونصح للجميع في كل مكان، وقد خلف وراءه أسرة حافلة من الأهل والأولاد، وابنه الشيخ محمد أكرم يخلفه في أعماله ويشرف على الأسرة بعناية بالغة.

نحن نعزيه وجميع أهله وذويه، وندعو الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وغفر له زلاته، وأكرمه بجنات ونعيم، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- والدة الشيخ محمد قيصر حسين الندوي إلى رحمة الله تعالى

فضيلة الشيخ محمد قيصر حسين الندوي أحد أساتذة دار العلوم لندوة العلماء الذي أكمل دراسته الدينية والعلمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعد تخرجه من دار العلوم، وهو الآن أستاذ الأدب واللغة والتفسير، وقد توفيت والدته العزيزة يوم الأربعاء ١٩/من شهر ذي الحجة سنة ١٤٣٢هـ الموافق ١٦/نوفمبر ٢٠١١م بالغة من العمر ثمانين عاماً، وكان والده قد توفي قبلها بستة أعوام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فوجيء الشيخ قيصر حسين الندوي بنبأ وفاتها، فسارع إلى بلده بولاية بهار، لكي يشارك أسرته وأعضاءها في تبادل التعازي وشؤون ما بعد الوفاة.

ونحن حينما نعزيه من صميم القلب نبتهل إلى الله تعالى أن يتناولها بالرحمة الواسعة والمغفرة الكاملة، ويكرمها بجنات ونعيم، وبالصبر الجميل لأولادها وذويها.

٣- أم زوجة الشيخ محمد وصاف عالم الندوي إلى رحمة الله تعالى

ارتحلت أم زوجة الأستاذ الشيخ محمد وصاف عالم الندوي يوم الأحد ٨/من شهر المحرم الحرام ١٤٣٣هـ الموافق ٤/ من شهر ديسمبر ٢٠١١م، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الأستاذ محمد وصاف عالم الندوي أحد أساتذة دار العلوم لندوة العلماء المكرمين، فوجيء بخبر وفاتها على غفلة منه، فتأثر بهذا الحادث، نظراً إلى أنه لم يتمكن من الحضور إليها قبل الوفاة وبعدها في أداء الصلاة عليها، وكانت من السيدات الصالحات، وعاشت حياة دينية في صلاح ونصح.

رحمها الله تعالى رحمة واسعة، وصفح عن زلاتها وجزاها في الآخرة بجنات ونعيم، وألهم ابنتها العزيزة وأهلها وذويها الصبر الجميل، والله مع الصابرين.

٤- الحاج محمد كامل الصديقي شقيق الحاج محمد إقبال الصديقي في ذمة الله تعالى

تلقينا اليوم فجأة نبأ وفاة الأستاذ محمد كامل الصديقي، وهوالشقيق الأكبر للحاج الأستاذ محمد إقبال الصديقي المسئول عن مكتب الإدارة المالي لدار العلوم ندوة العلماء، وكان بالغاً من العمر ٧٤/ عاماً، كان مريضاً منذ مدة فأصيب بضعف الصحة، توفي صباح الحادي عشر لشهر محرم الحرام لعام ١٤٣٣هـ الموافق ٧/من شهر ديسمبر عام ٢٠١١م، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ونحن إذ نعزي أخانا الحاج محمد إقبال الصديقي على وفاة شقيقه، ندعو الله تعالى للراحل الكريم أن يكرمه بالرحمة الواسعة والمغفرة الكاملة وبالجنات والنعيم في الآخرة، وبالصبر الجميل على المصاب لأهله وذويه.

{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}.

٥- رحيل فضيلة الشيخ القاضي محمد فاضل القاسمي

أفادت الأنباء بوفاة فضيلة الشيخ محمد فاضل القاسمي (والمجلة كانت ماثلة للطباعة) وذلك بطريق مفاجيء، و نزل هذا النبأ كصاعقة على أوساط العلم والدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان الفقيد قاضي مدينة بوفال، بالولاية المتوسطة للهند، كما أنه كان أستاذ العلوم الدينية بدار العلوم الواقعة في جامع الترجمة في مدينة بوفال، حدثت وفاته بنوبة قلبية مفاجئة، وكان عمره ٦٠ عاماً.

ارتحل إلى دار الآخرة ليلة ١٦/من شهر محرم لعام١٤٣٣هـ، الموافق ١٢/من شهر ديسمبر ٢٠١١م.

تغمده الله بواسع رحمته وغفرله زلاته وتقصراته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه وتلاميذه الصبر الجميل على هذا المصاب (وكل شيء عنده إلى أجل مسمى).

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
MOB.091-9415546882
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٦ عاماً بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السابع والخمسين. والحمد لله. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)